# شرح كتاب
# مختصر في أصول اعتقاد
# أهل السُّنة والجماعة

مؤلف المختصر

**الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي** رحمه الله

اعتنى بها وشرحها شرحاً موجزاً وأخرجها ووثق نقولها

**أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار**

# المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يَدعون من ضل إلى الهُدَى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس وأقبح آثار الناس عليهم[١].

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه وحجته على عباده فهو رحمته المهداة إلى العالمين ونعمته التي أتمها على أتباعه المؤمنين، أرسله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب وطموس من السبل ففتح الله به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسُنته إلى يوم الدين.

**أما بعد:**

فهذه رسالة مختصرة في أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة للعلّامة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بيَّن فيها بإيجاز وأسلوب سهل واضح عقيدة الفرقة الناجية المنصورة، وقد تميز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته هذه بأسلوبه البديع الذي يصل إلى عقل القارئ بأقصر طريق وهذا لا يستطيعه إلا من وصل إلى رتبة عالية في العلم وقدرة عجيبة على توظيف المعلومات في قالب بياني

---

(١) من مقولة الإمام أحمد في رده على الزنادقة والجهمية انظرها بتمامها في إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٩.

واضح وقد وفق الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كثيراً في سهولة العبارة وإيجازها ووفائها بالمقصود وهذا ما سيلاحظه القارئ في هذه الرسالة الموجزة.

وهذه الرسالة مع قلة حجمها إلا أنها قد حوت مجمل أصول ومعتقد أهل السُّنة والجماعة.

ولما كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يرغب في بسطها وتوضيحها بأدلتها حيث قال في المقدمة: «إن يسر الله وفسح في الأجل بسطت هذه المطالب ووضحتها بأدلتها» ولكن وافته المنية وحالت بينه وبين مطلوبه، جعلنا لذلك شرحاً موجزاً إتماماً للفائدة وتحقيقاً لرغبة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

ورغبة أحفاده الذين طلبوا مني ذلك وهم الحريصون على نشر علم والدهم رَحِمَهُ اللهُ وجعل الخير والبركة في ذريته وذرياتهم.

وقد بذلت ما استطعت من تعليقات وحرصت أن تكون من كلام الشيخ نفسه في بعض كتبه ورسائله، ومن ميزات هذه الرسالة أنها بخط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وتنشر لأول مرة وأنها شاملة لأصول العقائد الإسلامية.

## عملي في هذه الرسالة:

**أولاً**: قمت بوضع كلام الشيخ على هيئة المتن.

**ثانياً**: قمت بشرح المتن والتعليق عليه بما تيسر.

**ثالثاً**: ما ذكره الشيخ مجملاً ووجدت له شيئاً من التفصيل في كتبه ذكرته مع ذكر المرجع المذكور فيه.

**رابعاً**: إذا وجدت كلاماً لشيخ الإسلام وغيره من أهل العلم مما يعضد كلام الشيخ ويقويه ذكرته وذكرت مرجعه.

**خامساً**: تدعيم الرسالة بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة ما أمكن.

**سادساً**: هذه الرسالة لم يجعل لها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ اسماً وهذا من عادته رَحِمَهُ اللهُ في بعض كُتبه فإنه أحياناً لا يُسمي المكتوب فاخترت لها اسماً وسميتها: «**مختصر أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**».

والله أسأل أن ينفع بها وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه خير مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

**وكتب**
**أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار**
**ضحوة الاثنين ٨/ ٦/ ١٤٢٢هـ**
**الزلفي ص. ب ١٨٨**

# التعريف بمؤلف الرسالة(١)

## اسمه ونسبه:

هو العالِم الجليل والفقيه الأصولي والمحدِّث والداعية المحقّق المدقّق عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن أحمد آل سعدي، من نواصر بني تميم من بني عمرو والمنتمية إلى تميم.

## مولده:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في منطقة عنيزة في الثاني عشر من شهر المحرم عام سبعة وثلاثمائة وألف للهجرة (١٢/١/١٣٠٧هـ).

## نشأته:

نشأ رَحِمَهُ اللَّهُ صالحاً مثاراً للإعجاب وأنظار الناس محافظاً على الصلوات الخمس مع جماعة المسلمين حريصاً كل الحرص على طلب العلم فلازم أهل العلم في زمانه ملازمة الظل وأكب على الاغتراف من معين علمهم وفضلهم وأخلاقهم فاجتهد بالنهار وسهر بالليل في تحصيل العلم حتى نال مقصوده رحمه الله رحمة واسعة.

## مشايخه:

١ - إبراهيم بن حمد بن جاسر.

٢ - إبراهيم بن صالح بن إبراهيم القحطاني.

---

(١) من أراد معرفة الكثير من جوانب سيرته العلمية والعملية فليراجع رسالتين للباحث هما صفحات من حياة علّامة القصيم وأثر علّامة القصيم على الحركة العلمية المعاصرة.

٣ ـ صالح بن عثمان القاضي.
٤ ـ صعب بن عبد الله بن صعب التويجري.
٥ ـ محمد الأمين محمود الشنقيطي.
وغير هؤلاء ممن درس عليهم الشيخ.

**تلاميذه:**

١ ـ إبراهيم بن عبد العزيز الغدير.
٢ ـ إبراهيم بن محمد العمود.
٣ ـ حمد بن إبراهيم عبد الرحمٰن القاضي.
٤ ـ محمد بن صالح العثيمين.
٥ ـ عبد العزيز بن محمد السلمان.
٦ ـ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.
٧ ـ عبد الله البسام.
وغيرهم الكثير ممن تتلمذوا على الشيخ رحمه الله.

## بعض أعماله التي قام بها:

١ ـ كان الشيخ رحمه الله مرجعاً يرجع إليه الناس في شؤونهم الدينية والدنيوية فقد كان من الناحية الدينية هو كل شيء في عنيزة فقد كان العالم والمعلم والإمام والخطيب والمفتي والواعظ والقاضي وصاحب مدرسة دينية وعاقد الأنكحة ومحرر الأوقاف والوصايا وبالجملة فقد كان الشيخ كل شيء وللعلم أن كل هذه الأعمال التي يقوم بها الشيخ يقوم بها حسبة ولا يتقاضى عليها أجراً.

٢ ـ قام بتأسيس المكتبة الوطنية بعنيزة وذلك عام ١٣٥٩هـ أو عام ١٣٦٠هـ.

٣ ـ رُشِّح لقضاء عنيزة عام ١٣٦٠هـ ولكنه رفض ذلك رفضاً شديداً.

٤ ـ عُيِّن إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة عام ١٣٦١هـ.

٥ ـ قام بالإشراف على المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٣هـ.

## مرضه ووفاته:

أصيب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر حياته بمرض (ضغط الدم) وهو مرض خطير وعولج منه ثم عاوده مرة أخرى وأثناء إملائه على تلاميذه الدرس المعتاد بعد صلاة العشاء أحس رَحِمَهُ اللَّهُ بثقل وضعف حركة وبعدها أغمي عليه حال وصوله إلى بيته ثم استمر به المرض حتى توفاه الله تعالى فجر الخميس الموافق ٢٣/٦/١٣٧٦هـ.

فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

## مؤلفات الشيخ:

**للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات كثيرة نذكر منها:**

١ ـ تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان.

٢ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٣ ـ المواهب الربانية من الآيات القرآنية.

٤ ـ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار.

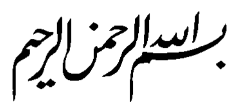
٥ ـ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول.

٦ ـ القول السديد في مقاصد التوحيد.

٧ ـ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء[١].



(١) وهناك الكثير من كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ التي يصل عددها أكثر من (٥٠) مؤلفاً.



## مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فهذا مختصر جداً في أصول العقائد الدينية والأصول الكبيرة المهمة اقتصرنا فيها على مجرد الإشارة والتنبيه من غير بسط للكلام ولا ذكر أدلتها أقرب ما يكون لها أنها من نوع الفهرست للمسائل لتعرف أصولها ومقامها ومحلها من الدين ثم من له رغبة في العلم يطلب بسطها وبراهينها من أماكنها، وإن يسر الله وفسح في الأجل بسطت هذه المطالب ووضحتها بأدلتها.

## شرح مقدمة المؤلف

**قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بسم الله الرحمٰن الرحيم).**

ابتدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله وعملاً بهدي النبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الحمد لله رب العالمين)** قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله. وحمده سبحانه يكون بحمده على كماله ﷻ وذلك لأنه كامل الصفات من كل وجه ويكون بحمده على كامل الإنعام والإحسان، «ورب العالمين» الرب هو المالك المتصرف أو السيد وكل هذا صحيح في حق الله تعالى «العالمين» جمع عالم وهو كل موجود سوى الله ﷻ.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وصلى الله على محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين).**

معنى «صلى الله على محمد» أحسن ما قيل في معنى الصلاة على النبي ما قاله أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «صلاة الله على رسوله»: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى وقوله: «وآله» الآل إذا قرنت بالأتباع صار المراد بها المؤمنين من آل بيت النبي ﷺ وإذا لم يقرن بها الأتباع أو مع الصحب صار معناها أتباعه على دينه منذ بعثته إلى يوم القيامة.

قوله: «وصحبه» أصحاب النبي ﷺ كل من اجتمع به مؤمناً به ومات على ذلك.

قوله: «وأتباعه» المراد بها هنا أتباعه على دينه إلى يوم القيامة.

قوله: «إلى يوم الدين» أي: يوم الجزاء والحساب.

قوله: **(أما بعد)** «أما» نائبة عن اسم الشرط وفعله والتقدير مهما يكن من شيء بعد.

قوله: **(فهذا مختصر جداً في أصول العقائد الدينية)**.

أصول جمع أصل وهو ما ينبي عليه غيره.

والعقائد جمع عقيدة ومعناها في الاصطلاح حكم الذهن الجازم فيقال: اعتقدت كذا يعني جزمت به في قلبي وقيدها المؤلف هنا «بالعقائد الدينية» المراد بها حكم الذهن الجازم بإفراد الله بوحدانيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وإفراده بالحكم والتشريع وكذا الإيمان بملائكته وكتبه ورسله وغيرها من أصول الإيمان الستة.

وقوله: **(والأصول الكبيرة المهمة)**؛ أي: الأصول التي خالف فيها أهل السُّنة والجماعة المنحرفين من الفرق الضالة كمسألة الإيمان والاستثناء فيه ومعتقد أهل السُّنة والجماعة في الصحابة والإمامة وغيرها فكلها أصول مهمة ذكرها المؤلف.

وقوله ﵀: **(اقتصرنا فيها على مجرد الإشارة والتنبيه من غير بسط للكلام ولا ذكر أدلتها... إلى آخر كلامه ﵀)**.

بيَّن هنا ﵀ منهجه في تأليف هذه الرسالة فبين أنها عبارة عن فهرست لهذه الأصول ومن أراد أن يتوسع في شروح هذه الأصول فليراجع بسطها وبراهينها من أمكانها التي شرحت فيها ومن أهم الكتب التي ألفت فيها هذه الأصول مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فأفضل من اعتنى بمذهب السلف ووضح عقيدتهم وأصّلها وقعّدها هما شيخ الإسلام وتلميذه رحمهما الله ومن بعدهم أئمة الدعوة عليهم رحمة الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به عباده الصالحين.



# الأصل الأول
# التوحيد

**الشرح**: أصل الشيء أساسه الذي يبنى عليه ولما كان التوحيد أهم المهمات وأوجب الواجبات وعلى أساسه تتوقف صحة الأعمال وقبولها لا سيما إذا كانت مقرونة بالإخلاص ومتابعة النبي ﷺ جعله الشيخ رحمه الله تعالى الأصل الأول.

*** (حد التوحيد الجامع لأنواعه هو اعتقاد العبد وإيمانه بتفرد الله بصفات الكمال وإفراده بأنواع العبادة).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «حد التوحيد الجامع لأنواعه» أي: لأنواعه الثلاثة توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «حد التوحيد الجامع لكل أنواعه هو علم العبد واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال وتوحده في ذلك واعتقاد أنه لا شريك له ولا مثيل له في كماله وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ثم إفراده بأنواع العبادة[1]».

فهذا هو التوحيد بمعناه العام؛ أي: إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات ثم دخل في تفصيل كل نوع على حدة فقال:

*** (فدخل في هذا توحيد الربوبية الذي هو اعتقاد انفراد الرب سبحانه بالخلق والرزق وأنواع التدبير).**

**الشرح**: قوله: «فدخل في هذا» أي: دخل في حد التوحيد توحيد الربوبية الذي هو «اعتقاد انفراد الرب سبحانه... إلخ» وقال أيضاً: توحيد الربوبية بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ ج٣ (العقيدة الإسلامية ص٦١).

ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين[(١)] انتهى.

*** (وتوحيد الأسماء والصفات وهو إثبات ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل).**

**الشرح**: هذا هو النوع الثاني من أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات وهو اعتقاد انفراد الرب سبحانه بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسُّنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل. ونفيُ ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله[(٢)].

وقال أيضاً في بيان أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته هما ثلاثة:

١ - إيمان بالأسماء الحسنى كلها.

٢ - الإيمان بما دلت عليه من الصفات.

الإيمان بأحكام صفاته ومتعلقاتها. فنؤمن بأنه عليم له العلم الكامل المحيط بكل شيء وأنه قدير ذو قدرة عظيمة يقدر بها على كل شيء وهكذا بقية الأسماء الحسنى والصفات ومتعلقاتها[(٣)].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه. فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، مجموع مؤلفات الشيخ ٣/ ١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ٣/ ٦٢ قسم العقيدة الإسلامية.

الأسماء والصفات وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل، اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسُّنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه وطمأنينة في أحواله(١).

*** (وتوحيد الألوهية والعبادة وهو إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها وإفرادها من غير إشراك به في شيء منها مع اعتقاد كمال ألوهيته).**

**الشرح:** هذا هو النوع الثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية ومعناه إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائناً من كان(٢).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حد توحيد الألوهية قال: «فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً أفرده بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة فيقوم بشرائع الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرها إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه متابعاً في ذلك(٣) الرسول ﷺ.

*** (فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء والقدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه على كل شيء قدير وأنه الغني الحميد وما سواه فقير إليه من كل وجه).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء والقدر»

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/١٠٨ قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أعلام السنة المنثورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، للشيخ حافظ الحكمي ص٥١.

(٣) الحق الواضح المبين لابن سعدي.

وجه دخول القضاء والقدر في توحيد الربوبية أنها من أفعاله سبحانه وتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله ولذا أدخل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القضاء والقدر من جملة توحيد الربوبية.

وقوله: «وأن ما شاء الله كان...» إلخ هذا هو معنى الإيمان بالقضاء والقدر الذي دل عليه قوله ﷺ لابن عباس: **«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**[1].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنه الغني وما سواه فقير إليه من كل وجه» لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

*** (ودخل في توحيد الأسماء والصفات إثبات جميع معاني الأسماء الحسنى لله تعالى الواردة في الكتاب والسُّنة والإيمان بها ثلاث درجات إيمان بالأسماء وإيمان بالصفات وإيمان بإحكام صفاته كالعلم بأنه عليم ذو علم ويعلم كل شيء قدير ذو قدرة ويقدر على كل شيء إلى آخر ما له من الأسماء).**

**الشرح**: مر بنا جملة مما ذكره الشيخ في بيان توحيد الأسماء والصفات وكيفية الإيمان بها.

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر أصول الإيمان الكلية: فعلى كل مؤمن أن يؤمن بالله ويدخل في الإيمان بالله الإيمان بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال ونفي أضدادها وأركان ذلك ثلاث:

١ - الإيمان بالأسماء كالعزيز الحكيم العليم الرحيم إلى آخرها.

٢ - والإيمان بالصفات: كالإيمان بكمال عزة الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

الإيمان بإحكام الصفات ومتعلقاتها: كالإيمان أنه يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء ورحمته وسعت كل شيء إلى آخرها[2].

(١) رواه أحمد ١/٣٠٧. وانظر: جامع العلوم والحكم ص١٧٤.

(٢) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد، لابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص٦٥.

*** (ودخل في ذلك إثبات علوه على خلقه واستوائه على عرشه ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته).**

**الشرح**: أي: ودخل في توحيد الأسماء والصفات هذه الأمور الثلاثة؛ الأول: علوه على خلقه، الثاني: استوائه على عرشه، الثالث: نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته. وقد أفرد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الثلاث بالذكر لأن أكثر الفرق خالفت أهل السنة في ذلك بما فيهم الأشاعرة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ «. . . إثبات علوه على خلقه» علو الله تعالى من صفاته الذاتية كما سيوضحه رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك وعلو الله تعالى ينقسم إلى قسمين.

علو ذات: معناه أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته فوق جميع مخلوقاته.

وعلو صفة ومعناه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . واستوائه على عرشه» استواء الله على عرشه من الصفات الفعلية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة والاستواء معناه علوه واستقراره على عرشه علواً واستقراراً يليق بعظمته وجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلاف ما جاءت به تأويلات أهل البدع من تفسير الاستواء بالاستيلاء تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا. .» إلخ نزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وحكمته ونزوله سبحانه نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته ولا يصح تحريف معناه إلى غير ذلك من التحريفات الباطلة مثل قولهم معنى النزول نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته فهذا من أبطل الباطل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «نعرف ربنا بأنه عليّ أعلى بكل معنى واعتبار علو الذات وعلو القدر والصفات وعلو القهر وأنه بائن من خلقه مستو على عرشه كما وصف لنا نفسه بذلك إلى آخر ما قاله[1] رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/٦٣ ومؤلفات الشيخ ابن سعدي قسم العقيدة.

*** (ودخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفك عنها كالسمع والبصر والعلم والعلو ونحوها والصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وقدرته كالكلام والخلق والرزق والرحمة والاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا كما يشاء وأن جميعها تثبت من غير تمثيل ولا تعطيل وأنها كلها قائمة بذاته وهو موصوف بها).**

**الشرح**: تنقسم صفات الله تعالى إلى قسمين ذكرهما المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

**الأولى**: الصفات الذاتية وفسرها بقوله: «التي لا ينفك عنها» أي: التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كصفة السمع والبصر والعلم والعلو والقدرة والعزة والحكمة وكذلك صفة الوجه واليدين والعينين.

**الثانية**: الصفات الفعلية وبيَّنها رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «المتعلقة بمشيئته وقدرته» أي: التي إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كصفة الرحمة والرزق والخلق والاستواء والنزول وغيرها من صفات الأفعال.

أما الكلام فقد أدخله المؤلف بأنه من صفات الأفعال وهذا حق ولكنه أيضاً يعد من صفات الذات فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام فإنه صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئه[1]. ثم ذكر المؤلف المحاذير التي يجب التخلي عنها عند إثبات صفات الباري تبارك وتعالى «وأن جميعها تثبت من غير تمثيل ولا تعطيل».

*** (وأنه تعالى لم يزل ولا يزال يقول ويفعل وأنه فعال لما يريد ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء لم يزل بالكلام موصوفاً وبالرحمة والإحسان معروفاً).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنه تعالى لم يزل ولا يزال يقول ويفعل وأنه فعال لما يريد» ذكر هذا الكلام رَحِمَهُ اللَّهُ رداً على الجهمية والمنحرفين من أهل الكلام الذين توهموا أن الفعل هو المفعول وأنه إذا كان غيره لزم حلول الحوادث بالله

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين الكافية الشافية ٣/ ٢٣٣ مجموع مؤلفات ابن سعدي.

وهذا الوهم باطل وخطأ وضلال واضح فإن الله لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل يفعله؛ أي: يفعل الأشياء ويحدث الحوادث شيئاً بعد شيء ولا يلزم من هذا حلول الحوادث في ذاته وأن الحوادث منفصلة عنه والفعل الذي هو الوصف قديم النوع ولكنه لا يزال يفعل ما يريد(١).

وقوله ﷺ: «ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء لم يزل بالكلام موصوفاً» أي: أنه سبحانه لم يزل ولا يزال بصفة الكلام معروفاً وموصوفاً وكلامه سبحانه من صفاته الذاتية الفعلية غير مخلوق كسائر صفات أفعاله.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وذكر كلامه في مواضع كثيرة من كتابه(٢).

*** (ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأنه المتكلم به حقاً وأن كلامه لا ينفد ولا يبيد).**

**الشرح:** قوله ﷺ: «ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام الله...» إلخ الضمير في ذلك يعود على توحيد الأسماء والصفات وقد بيَّن الشيخ عقيدة سلف الأمة في القرآن فقال: بأنه «كلام الله» منزل غير مخلوق بخلاف كلام المعتزلة والكلابية والأشاعرة والكرامية وغيرهم ممن قالوا: بأنه مخلوق أو أنه عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلامه ونحو ذلك من الأقوال الباطلة. فأهل السنة يعتقدون أن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزل على رسوله وحياً وصدقه على ذلك المؤمنون حقاً وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده بسقر. وقوله ﷺ: «منه بدأ» أي: ظهر وخرج منه سبحانه؛ أي: هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه «وإليه يعود» أي: يرجع بأن يسري به في آخر الزمان ويرفع فلا يبقى في الصدور ولا في المصاحف منه آية.

---

(١) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ﷺ ٣/٣١٧ مجموع مؤلفات ابن سعدي ﷺ.

(٢) الحق الواضح المبين ٣/٢٣٢ مجموع مؤلفات ابن سعدي ﷺ.

*** (ودخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب وأنه مع ذلك علي أعلا وأنه لا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وصفاته).**

**الشرح**: أي: ودخل في الإيمان بأسماء الله وصفاته الإيمان بأنه قريب مجيب... إلخ. وحيث إن مسألة علو الله على خلقه حصل فيها اختلاف كثير ومخاصمات بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف الجهمية والمعتزلة ومن حذا حذوهم من الأشاعرة وغيرهم بيَّن المؤلف رَحِمَهُ الله معتقد أهل السنة والجماعة فيها وقد ذكرنا طرفاً مما قاله الشيخ رَحِمَهُ الله في علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ولكن هنا ذكر الشيخ أمراً آخر وهو أنه مع علوه سبحانه على عرشه فإنه قريب منهم ولا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ الله في الواسطية: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون».

وقال أيضاً: «وقد دخل في الإيمان بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية. وقوله ﷺ للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالذكر: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه[1]».

*** (ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من الأسماء والصفات والأفعال وأحكامها على وجه يليق بعظمة الباري ويعلم أنه كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته).**

**الشرح**: قوله رحمه الله: «ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن

(١) انظر: الواسطية لشيخ الإسلام.

بكل ما جاء به الكتاب والسنة...» إلخ يريد أن يبين ما يقتضيه الإيمان بالأسماء والصفات فإنه يجب الإيمان بجميع ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية لا نؤمن ببعض ونكفر بالبعض الآخر كما فعلت بعض الطوائف الذين آمنوا ببعض الصفات وأولوا البعض الآخر وصرفوا النصوص عن ظاهرها أو آمنوا بالأسماء ثم عطلوا ما يقتضيه الاسم فقالوا: رحيم بلا رحمة أو عزيز بلا عزة وهكذا في جميع أسماء الله تعالى فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بين ذلك أتم البيان وعلله بأنه «كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته» وذلك لأن القول في الذات كالقول في الصفات ولذلك قالوا: لو قال لك المعطل: أنا لا أثبت صفاته لأن إثباتها يقتضي التشبيه أو التمثيل فقل له إذاً: صف لي ذاته فلا بد أن يقول لك: لا أعلم كيفية ذاته فقل له: إذاً فكما أنك لا تعلم كيفية ذاته كذلك لا تعرف كيفية صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

*** (ومن ظن أن في بعض العقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات على غير معناها المعروف فقد ضل ضلالاً مبيناً).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن ظن أن في بعض العقليات...» إلخ يريد أن يرد على الذين أولوا صفات الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقالوا: بأنها لا تدل على إثبات تلك الصفة لله سبحانه وإنما تدل على معنى آخر فقالوا مثلاً في صفة اليد: إنه ليس له ثمَّ يد وإنما هي كناية عن القدرة وكذا في صفة الرضى فأولوها فقالوا: لا تثبت لله هذه الصفة وإنما المراد إرادة الإنعام وكذا في باقي الصفات أولوها على غير المراد وذلك باستخدام عقولهم القاصرة قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتبين أن التأويل الصحيح كله يعود إلى فهم مراد الله ورسوله وإلى العمل بالخبر، وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ويراد به صرف النصوص عن معناها الذي أراده الله ورسوله، إلى بدعهم وضلالهم وهو من أعظم ما يدخل في القول على الله بلا علم وقول غير الحق.

وقال أيضاً ـ يعني ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود»[١].

*** (ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله» وذلك لأن الأدلة القرآنية دلت على ذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦] قال أهل التفسير في معنى (ما): في الآية وجهان:

**أحدهما**: أن تكون بمعنى المصدر فيكون معنى الآية: والله خلقكم وعملكم.

**الثاني**: أن تكون (ما) بمعنى الذي فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه من الأصنام[٢] وغيرها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله وقضائه وقدره ولكنهم هم الفاعلون لها لم يجبرهم الله عليها مع أنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم، فهي فعلهم حقيقة وهم الموصوفون بها المثابون المعاقبون عليها وهي خلق الله حقيقة فإن الله خلقهم وخلق مشيئتهم وقدرتهم وجميع ما يقع بذلك فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة»[٣].

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ١٨٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/ ١٥، زاد المسير، لابن الجوزي ٧/ ٧٠.

(٣) سؤال وجواب في أهم المهمات، لابن سعدي ص٦٥ من مجموع مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

*** (وأن لهم أفعالاً وإرادة تقع بها أفعالهم وهي متعلق الأمر والنهي وأنه لا يتنافى الأمران إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والأفعال والصفات وإثبات قدرة العبد على أفعاله وأقواله).**

**الشرح:** كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذا المقطع والذي قبله كله يرد على طائفتين ممن خالفوا أهل السنة وهم الجبرية الذين قالوا بأن العبد مجبور على فعله فالعباد عندهم ليسوا فاعلين حقيقة وإسناد الأفعال إليهم من باب المجاز أما الطائفة الثانية فهم القدرية مجوس هذه الأمة الذين قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد وإنما هم خالقوها استقلالاً دون مشيئة الله وتقديره لها فبيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ معتقد أهل السنة في ذلك. وخلاصة القول في مسألة خلق أفعال العباد: أن أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله وقضائه وقدره فقد علم الله ما سيخلقه في عباده وعلم ما هم فاعلون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء ومضى فيهم قدره. فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ(١): والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]

*** (ولا يتم توحيد العبد حتى يخلص العبد لله تعالى في إرادته وأقواله وأفعاله وحتى يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة وهو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يتم توحيد العبد حتى يخلص العبد لله تعالى في إرادته وأقواله وأفعاله» هذا الكلام في بيان كيفية تحقيق التوحيد فذكر

---

(١) الواسطية ص١٧٥ شرح الفوزان.

الشيخ طرفاً من كيفية تحقيقه وقال أيضاً: «فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع القولية الاعتقادية والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع التي تكدر التوحيد وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره»[١].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشرك الأكبر: «وهو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى» هذا هو تعريف الشرك الأكبر فمتى صرف العبد نوعاً من أنواع العبادة كنذر وذبح ونحوها لغير الله فهو مشرك كافر لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالشرك الأكبر أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو غير الله أو يرجوه أو يخافه فهذا مخرج من الدين وصاحبه مخلد في النار»[٢].

*** (وكمال ذلك أن يدع الشرك الأصغر وهو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكمال ذلك» أي: وكمال التوحيد يكون بأن «يدع الشرك الأصغر» ثم عرفه بقوله: «وهو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر» ثم مثل له بقوله: «كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك» فحد الشرك الأصغر عند ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كل وسيلة وذريعة يتطرق فيها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[٣].

أما جمهور أهل العلم فيُعرِّفون الشرك الأصغر بأنه: «ما أتى في

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ٣/ ١٢ مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي.
(٢) أهم المهمات ٣/ ٦٥.
(٣) القول السديد ص ٢٤.

النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر»[١].

وتعريف الجمهور هو ما أفتت به اللجنة الدائمة فقالت:

الشرك الأصغر هو: «كل ما نهى عنه الشرع بما هو ذريعة إلى الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً»[٢].

والفرق بين تعريف ابن سعدي وجمهور أهل العلم هو:

أن جمهور أهل العلم يشترطون كون الفعل جاءت به نصوص الشريعة بتسميته شركاً كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت وغيرها من الأقوال أما ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فيضيق هذا الأمر تضييقاً محكماً فيجعل الوسائل كلها سواء جاء تسميتها شركاً أو لم تجيء هي في حكم الشرك الأصغر وعلى ذلك فمثلاً قراءة القرآن عند صاحب القبر على قول الجمهور أنها بدعة لأنه لم يأت تسميتها شركاً أما عند ابن سعدي فيرى أنه من جملة الشرك الأصغر لأنها وسيلة لحصول الشرك الأكبر. ولعل تفسير ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ للشرك الأصغر هو الأضبط والأولى في ذلك والله أعلم.

*** (والناس في التوحيد على درجات متفاوتة بحسب ما قاموا به من معرفة الله والقيام بعبوديته فأكملهم في هذا الباب من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه ومعانيها الثابتة في الكتاب والسُّنة وفهمها فهماً صحيحاً فامتلأ قلبه من معرفة الله وتعظيمه وإجلاله ومحبته والإنابة إليه وانجذاب جميع دواعي قلبه إلى الله تعالى متوجهاً إليه وحده لا شريك له).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «والناس في التوحيد على درجات متفاوتة»، كما بين ذلك ربنا بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فأعظمهم وأكملهم آخرهم ذكراً وذلك لكمال علمه بخالقه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فسابق إلى فعل الخيرات مع ما هو فيه من كمال توحيد خالقه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا يتم ذلك إلا بالعلم به سبحانه والعلم بأسمائه

(١) المجموع الثمين ٢/ ٢٧، باب من تبرك بشجر أو حجر.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٥١٧.

وصفاته وأفعاله لذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأكملهم في هذا الباب» أي: فأكملهم في باب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد «من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته» أي عرف الاسم وما يقتضيه هذا الاسم وعلم الصفة وما تقتضيه هذه الصفة فمثلاً علم أن من أسمائه «السميع البصير» فيؤمن بتفاصيل هذين الاسمين فالسميع أي: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها: سرها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات، بل القريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء أما البصر فيؤمن بتفاصيل هذا الاسم أيضاً من أنه سبحانه أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الظاهرة والباطنة وهكذا في جميع أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصفاته.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأفعاله وآلائه ومعانيها الثابتة في الكتاب والسنة».

أما أفعال الله سبحانه فكلها متعلقة بصفاته الثلاث: القدرة الكاملة والمشيئة النافذة والحكمة الشاملة فلا تخرج أفعاله سبحانه عن ذلك.

## أما أفعاله سبحانه الاختيارية فهي نوعان:

**الأول**: متعلقة بذاته المقدسة كالاستواء على العرش والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا والمجيء والإتيان ونحوها.

**الثاني**: تتعلق بالمخلوقات كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعطاء والمنع وأنواع التدابير الكونية والشرعية.

أما آلائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهي نعمه الظاهرة والباطنة التي ينعم بها على عباده.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفهمها فهماً صحيحاً» أي: فهم أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه «فهماً صحيحاً» أي: بما فهمه سلف الأمة رضوان الله عليهم لا بفهم أهل البدع الذين انحرفوا عن منهج السلف الصالح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فامتلأ قلبه من معرفة الله وتعظيمه وإجلاله...» إلخ.

فهذا لا شك هو أعرف الناس بربه فمتى عرف العبد أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلاءه الظاهرة والباطنة حق المعرفة فلا بد أن تدله إلى محبة الرب وتعظيمه وإجلاله.

فبقدر معرفة العبد بأسماء الله وصفاته بقدر ما يحصل له من خشية وإنابة وخوف منه سبحانه.

*** (ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان والإخلاص التام الذي لا يساويه شيء من الأغراض الفاسدة فاطمأن إلى الله معرفة وإنابة وفعلاً وتركاً وتكميلاً لنفسه وتكميلاً لغيره بالدعوة إلى هذا الأصل العظيم فنسأل الله من فضله وكرمه أن يتفضل علينا بذلك).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان».

الضمير هنا يعود على أكمل الناس في درجات التوحيد فبعد أن بين الوسائل التي يكمل بها توحيد العبد وذلك بمعرفة الرب سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله وآلائه وغيرها مع فهمها فهماً صحيحاً قرن ذلك كله بوقوعها على الوجه المرضي له سبحانه بأن تكون في كمال الإيمان والإخلاص التام فلا يكفي العلم فرب علم أعقبه ندم كثير فالعلم بالله والعلم بأحكامه الشرعية لا بد أن يكون على إخلاص لا يساويه شيء من الأغراض الفاسدة كالرياء والسمعة ومحبة الذكر وغيرها قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاطمأن إلى الله معرفة»؛ أي: معرفة بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته مع ما يقتضيه ذلك كله «وإنابة» الإنابة هي التوبة النصوح والرجوع إلى الله تعالى.

«وفعلاً» أي: وفعلاً لأوامره ﷻ أمر بها «وتركاً» أي: تركاً لمنهياته التي نهى عنها «وتكميلاً لنفسه» وذلك بفعل نوافل الطاعات «وتكميلا لغيره» لأن هذا من الدين الذي بينه ﷺ «الدين النصحية»[1].

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «والنصحية لأئمة المسلمين وعامتهم: أن يحب لهم الخير ويكره لهم الشر ويسعى في ذلك بحسب مقدوره، فيعلِّم جاهلهم، ويرشد منحرفهم، ويذكِّر غافلهم، ويعظ معرضهم ومعارضيهم، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ويسلك كل طريق فيه صلاح لإخوانه المسلمين ويسعى في تأليف ذات بينهم، وفي إرشادهم على اختلاف طبقاتهم لمصالح دينهم ودنياهم كل أحد على حسب حاله»(١).

وقال أيضاً: «وأما واجب أهل العلم المتعلق بالخلق فإن مهمتهم أعظم المهمات وعليهم من القيام بالحقوق أضعاف ما على غيرهم، فإن الله أوجب على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، فيعلمون الجاهل وينصحون ويذكرون ويعظون ويصدعون بأمر الله، ويظهرون دين الله، فكما أمر الله الجهال أن يتعلموا فقد أمر أهل العلم أن يعلموا الناس على اختلاف طبقاتهم، وأن يحنوا عليهم ويعلموهم مما علمهم الله»(٢).



(١) فتح الرحيم الملك العلام ص١٠٣.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة لابن سعدي ١/ ٤٣٩ مجموع مؤلفات ابن سعدي.

# الأصل الثاني
# الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموماً
# ونبوة محمد ﷺ خصوصاً

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الأصل الثاني»؛ أي: الأصل الثاني من أصول العقائد الدينية «الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموماً» لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله ﷺ في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[(١)].

فمن كفر بواحد من الأنبياء فهو كافر بهم جميعاً وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونبوة محمد ﷺ خصوصاً» لأنه خاتم النبيين ورسالته عامة لجميع الناس قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

*** (وهذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وإرساله وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه).**

**الشرح:** ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان ما يتضمنه الإيمان بالرسل فقال: «وهذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله

---

(١) رواه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بوحيه وإرساله» هذا هو الأمر الأول ودليله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. فهذا دليل الاختصاص بالنبوة والرسالة ودليل الإحياء والإرسال قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه» هذا هو الأمر الثاني فيما يجب نحو الإيمان بأنبياء الله ورسله فإنهم واسطة بين الله وبين خلقه فلم يكن لهم من صفات الربوبية والألوهية شيء. قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فلا يجوز للعبد أن يتوجه بشيء من أنواع العبادات لغير الله.

*** (وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً وأعمالاً).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به» أي: ومما يجب الإيمان به نحو أنبياء الله ورسله أن الله ﷻ أيدهم بالبراهين وهي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم فوجب أن جميع ما يخبر الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي فمتى علم المؤمن بالرسول أنه أخبر

بشيء من ذلك جزم جزماً قاطعاً أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به وأنه يمنع أن يعارضه دليل قطعي لا عقلي ولا سمعي وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو بحجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ اللهُ[1].

*** (وأن الله خصهم بخصائص وفضائل لا يلحقهم بها أحد وأن الله برأهم من كل خلق رذيل).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأن الله خصهم بخصائص وفضائل...» إلخ؛ أي: ومن جملة ما يجب الإيمان به نحو أنبياء الله ورسله أن الله خصهم بخصائص وفضائل ليست مما تكون لغيرهم يعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء كما ذكرنا سابقاً في ذكر بعض المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ورسله وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «لا يلحقهم بها أحد» كمن يدعي النبوة أو السحرة والمشعوذون فإن لهم خوارق للعادة ولكن لا يمكن بأي حال أن تصل إلى خوارق الأنبياء، فإن خوارق السحرة والمشعوذين ومدعي النبوة مبناها على الفسق والكذب والظلم والشرك والكفر والفواحش ولذا كانت خوارقهم يمكن إبطالها ومعارضتها بخلاف ما اختص الله به الأنبياء فإن خوارقهم لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن إبطالها لا من جنسهم ولا من غير جنسهم فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً[2].

*** (وأنهم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى وأنه لا يستقر في خبرهم إلا الحق والصواب).**

**الشرح:** اشتمل كلام المؤلف رَحِمَهُ اللهُ على أمرين يجب الإيمان بهما في حق أنبياء الله ورسله:

**الأول:** أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى وهذا بإجماع العلماء.

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فرسله صادقون فيما يقولون»

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٧٢.

(٢) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١.

فكل ما يخبرون به عن الله وعن غيره من مخلوقاته فهم صادقون فيه لا يكذبون أبداً. ولهذا أجمع العلماء على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكذب(١)

**الثاني**: أن الرسل لا يستقر في خبرهم إلا الحق والصواب وذلك لأنه من وحي الله ﷻ لهم فمن طعن في خبرهم فقد طعن في الوحي قال الله تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

وقد ذكرنا طرفاً من كلام شيخ الإسلام عند كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ «وأن الله أيدهم بالبراهين..» إلخ فليراجع.

*** (وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم وأن هذه الأمور ثابتة لنبينا محمد ﷺ على أكمل الوجوه).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم» هذا أيضاً أصل من أصول الإيمان بأنبياء الله ورسله فكما أنه يجب الإيمان بهم يجب الإيمان بما آتاهم الله وكذلك محبتهم وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده فأخرجوا الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإخلاص.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن هذه الأمور ثابتة لنبينا محمد ﷺ على أكمل وجه» أي: المحبة والتعظيم والتوقير والثناء وغيرها من الأمور الجميلة ثابتة في حق النبي ﷺ وذلك لأنه خاتم الأنبياء ورسول رب العالمين للناس كافة ولذا استحق أن يكون خليل الرحمٰن قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨، ٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآيات: «يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾؛ أي: على الخلق ﴿وَمُبَشِّرًا﴾؛ أي:

(١) شرح الواسطية ١/١٣٦.

للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾؛ أي: للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الأحزاب: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد وتعظموه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام». انتهى المراد من تفسيره رحمه الله[1].

*** (وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً والإيمان بذلك والتزام طاعته في كل شيء بتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نهيه).**

قوله رحمه الله: «وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً والإيمان بذلك» أما الإيمان بما جاء به النبي ﷺ فلا خلاف في وجوب الإيمان به أما معرفة جميع ما جاء به الرسول فهو يختلف باختلاف الأشخاص منهم من يكون في حقه واجب كالعلماء ومنهم من لا يكون في حقه واجب كمن دونهم ولذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ويجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً مجملاً ولا ريب أن معرفة ما جاء به من التفصيل فرض كفاية فإذا دخل في تبيلغ ما بعث الله به الرسول ودخل في تدبر القرآن وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم وأما ما وجب على أعيانهم فهو يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم وما أمر به أعيانهم ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك»[2].

وقوله رحمه الله: «والتزام طاعته...» إلخ هذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله فلا تتم هذه الشهادة إلا بذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٨٤.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٥١.

*** (ومن ذلك أنه خاتم النبيين قد نسخت شريعته جميع الشرائع وأن نبوته وشريعته باقية إلى قيام الساعة فلا نبي بعده ولا شريعة غير شريعته في أصول الدين وفروعه).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن ذلك أنه خاتم النبيين» كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقوله ﷺ: «... **وأنا خاتم النبيين**»[١]. وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد نسخت شريعته جميع الشرائع» كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: «قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذي هو القرآن العظيم أفضل الكتب وأجلها ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إنزالاً بالحق ومشتملاً على الحق في أخباره ونواهيه وأوامره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأنه شهد لها ووافقها وطابقت أخباره أخبارها وشرائعه الكبار شرائعها وأخبرت به فصار وجوده مصادقاً لخبرها ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلٰهية والأخلاق النفسية»[٢].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن نبوته وشريعته باقية إلى قيام الساعة فلا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته في أصول الدين وفروعه».

هذا حق لا شك فيه فإن مقتضى كونه خاتم النبيين يستلزم أنه لا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن محمداً ﷺ عام الرسالة إلى كل مكلف فرسالته عامة في كل شيء من الدين أصوله وفروعه دقيقه وجليله فكما لا يخرج أحد عن رسالته فكذلك لا يخرج حكم تحتاج إليه الأمة عنها وعن بيانه لها»[٣].

---

(١) مختصر صحيح البخاري للزبيدي (١٤٠٩).
(٢) تفسير الكريم المنان لابن سعدي.
(٣) نقلاً من شرح الشيخ عبد العزيز السلمان للواسطية.

*** (ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب، والإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها فلا يتم الإيمان به إلا بذلك).**

**الشرح:** ثم شرع المؤلف رحمه الله في بيان أصل من أصول الإيمان الستة وهو الإيمان بالكتب فقال رحمه الله: «ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب» ووجه دخول الإيمان بالكتب في الإيمان بالرسل أنه متى آمن العبد بالرسل فإن الإيمان بهم يقتضي الإيمان بما جاءوا به من الكتب التي أنزلها الله عليهم ومعنى الإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأنها كلها من عند الله عز وجل أنزلها على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء على الوجه الذي أراد ومن الإيمان بها أيضاً الإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها.

وقوله رحمه الله: «فالإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به...» إلخ أما الإيمان بالكتاب فلم يختلف فيه أحد أما السنة فقد خالف في الإيمان بها من انحرف عن الطريق المستقيم طريق الذين أنعم الله عليهم فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في بيان أمر وجوب الإيمان بها ولذا قال حسان بن عطية: كان جبريل ينزل بالقرآن والسنة على النبي ﷺ ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

*** (وكل من كان أعظم علماً بذلك وتصديقاً واعترافاً وعملاً كان أكمل إيماناً).**

**الشرح:** قوله رحمه الله: «وكل من كان أعظم علماً بذلك»؛ أي: بالكتاب والسنة «وتصديقاً»؛ أي: التصديق المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن «واعترافاً»؛ أي: الاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به

«وعملاً»؛ أي: عمل القلب واللسان والجوارح «كان أكمل إيماناً» وذلك لأنه استكمل كل شيء فلم يبق إلا وصفه بذلك؛ أي: أكمل الناس إيماناً.

*** (والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هذا الأصل العظيم).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هذا الأصل العظيم» أي: ويدخل في الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم الإيمان بالملائكة لأنهم أخبروا بوجودهم ودعوا الناس للإيمان بهم فهم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام والإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة فمن كفر بهم أو كفر بواحد منهم فقد كفر بالله ورسله قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ويدخل أيضاً في أصل الإيمان بالرسل الإيمان بالقدر قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ وقال ﷺ في بيان أركان الإيمان: «... **وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**»(١) والقدر هو تقدير الله ﷻ للأشياء فقد كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما قال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»(٢).

*** (ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حق لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه فالأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسُّنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها وغير النافع من المذكورات ليس فيها ما ينبغي وجودها وإن كان الدليل الشرعي ينهى ويذم الأمور الضارة منها).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حق...» إلخ. هذا أيضاً من مقتضيات الإيمان بنبوة محمد ﷺ فلا تتم شهادة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

العبد للنبي ﷺ بالنبوة ولا الرسالة إلا بما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي:

١ ـ «أن يعلم أن ما جاء به حق» كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ ـ أنه «لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه»؛ أي: أنه لا تعارض ولله الحمد بين نصوص الكتاب ونصوص السُّنة فالعقل السليم والحس السليم لا يخالفان نصوص الكتاب والسُّنة ولذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما عُلِم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط»[1].

٣ ـ «أن الأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها..» إلخ. وهذا صحيح فكل ما فيه نفع للأفراد والمجتمعات قد قررته الشريعة وحثت عليه فقد أمر الله بالعدل مع كل أحد وبالإحسان والرحمة لكل أحد ونهى عن الفحشاء والبغي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأمر بالوفاء بالعهود والمحافظة عليها وحذر من نقضها بهذه الأمور المذكورة وغيرها والعقل والحس جاءا بذلك والناس يثنون على من قام بها فقد كانت هذه الأمور وغيرها قبل الإسلام يعظمها أهل الجاهلية ويثنون على من قام بها وكذلك الأمور المنهي عنها من قبل العقل والحس تجدهم يذمون من قام بها أو ارتكبها فجاءت الشريعة تبين ذلك بالدليل الشرعي فاتفقا جميعاً.

ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ بل وسائر الرسل.



(١) درء تعارض العقل والنقل، مجموع مؤلفات ابن سعدي ٢/٤٧.

# الأصل الثالث
# الإيمان باليوم الآخر

*** (فكل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر كأحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة والميزان والصحف المأخوذة باليمين أو الشمال والصراط وأحوال الجنة والنار وأحوال أهلها وأنواع ما أعد الله فيها لأهلها إجمالاً وتفصيلاً فكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ بل وسائر الرسل الأصل الثالث. . الإيمان باليوم الآخر».

وجه دخول الإيمان باليوم الآخر في الإيمان بالرسل لأن الرسل أخبروا به ودعوا الناس للإيمان به وبأنهم مجزيون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولذلك بين الرب سبحانه أن الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان فمن كفر باليوم الآخر فقد كفر بالله سبحانه قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣].

ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان صفة الإيمان بهذا الأصل العظيم.

فقال: «فكل ما جاء به من الكتاب والسُّنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر».

وذلك لأنه بانقطاع العبد من الدنيا ورحيله إلى دار الآخرة يكون قد

دخل في المرحلة الأولى من مراحل العرض على الله تعالى فمن مات فقد قامت قيامته وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»** قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه»**(١).

وقوله رحمه الله: «كأحوال البرزخ» البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣].

أي: حاجزاً وفي الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قال مجاهد رحمه الله: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي: مات فلان قال: ليس هو في دار الدنيا ولا في الآخرة(٢).

وقوله رحمه الله: «وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة» أما الحساب والثواب والعقاب فهذا أصل اشتركت فيه الأنبياء جميعاً وأتباعهم الصادقون فما من نبي إلا بشر أمته بالجنة أو بالنار وأن هناك حساباً وعقاباً وثواباً كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨، ٩].

أما الشفاعة فقد اختلف فيها الناس وانقسموا إلى ثلاث طوائف فمنهم من أنكرها كالخوارج والمعتزلة فنفوا شفاعة النبي ﷺ وقسم أثبتوها حتى للأصنام وهم المشركون كما ذكر ذلك عنهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقسم توسطوا وهم أهل السنة والجماعة فأثبتوها بشرطيها وهما:

١ ـ إذن الرب للشافع أن يشفع.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨١) وقال: حديث غريب، مشكاة المصابيح ١/٤٨، وجامع الأصول ١١/١٦٤ وحسن إسناده الألباني في المشكاة وصحيح الجامع الصغير ٢/٨٥.

(٢) التذكرة للقرطبي ص١٠٠.

٢ ـ رضاه عن المشفوع له.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «والميزان والصحف المأخوذة باليمين..» إلخ هذا أيضاً داخل في الإيمان باليوم الآخر. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حينما سُئل عن حد الإيمان باليوم الآخر:

كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه داخل في الإيمان باليوم الآخر كأحوال القبر والبرزخ ونعيمه وعذابه وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والصحف والميزان والشفاعة[1] وأحوال الجنة والنار وصفاتها وصفات أهلها وما أعده الله فيهما لأهلهما إجمالاً وتفصيلاً كل ذلك من الإيمان باليوم الآخر.



(١) مجموع مؤلفات ابن سعدي ٣/٦٨.

# الأصل الرابع
# مسألة الإيمان

*** (فأهل السُّنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسُّنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الإيمان).**

**الشرح:** شرع المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في بيان الأصل الرابع من أصول الاعتقاد وهو «مسألة الإيمان» وخصها رَحِمَهُ اللهُ بالذكر وجعلها أصلاً من أصول الاعتقاد لأن هناك فِرقاً قد ضلت في هذا الأصل العظيم وخالفت الطريق المستقيم ولذا نجد علماء الأمة يخصون هذه المسألة بالذكر في كتبهم فهذا شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ نجده كثيراً ما يتكلم عن هذه المسألة فانظر إلى المجلد السابع من مجموع الفتاوى له تجده خُصِّص لهذه المسألة فقط.

وقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «فأهل السُّنة يعتقدون بما جاء به الكتاب والسُّنة من أن الإيمان هو تصديق القلب. . .» إلخ هنا بين رَحِمَهُ اللهُ اعتقاد أهل السُّنة في الإيمان.

فقوله: «الإيمان هو تصديق القلب»؛ أي: اعترافه وقوله كما قال شيخ الإسلام في الواسطية: «الإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح».

وقوله: «المتضمن لأعمال الجوارح» لأن الجوارح شاهدة على ما في القلب من إيمان فمتى امتلأ القلب بالإيمان خضعت الجوارح وسكنت لخالقها فركعت وسجدت وقامت وقعدت فيكون عملها إيماناً شرعاً لأن الحامل لهذه الأعمال هو الإيمان.

وقوله: «فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها» عمل القلوب تحركها وإرادتها مثل الإخلاص في العمل فهذا عمل القلب وكذا التوكل والرجاء والخوف والصبر والخشية والإنابة وغيرها من أعمال القلوب.

وقوله: «وأعمال الجوارح وأقوال اللسان أنها كلها من الإيمان» هنا يريد أن يرد على الذين قالوا: بأن الإيمان قول فقط ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان كالمرجئة وغيرهم.

*** (وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان». مراده رَحِمَهُ اللهُ أن من قام بما أمر الشارع به فجاء بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة من الأعمال الظاهرة وكذلك جاء بالأعمال الباطنة كالإخلاص والخشية والإنابة والتوكل والصبر وغير ذلك من الأعمال الباطنة فإنه قد كمل إيمانه بذلك فالأعمال الظاهرة والباطنة تصدق الإيمان.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه».

وذلك لأن الإيمان كما هو عند أهل السنة يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فكلما كان العبد لأوامر الله أتقى كان الإيمان في قلبه أقوى ولذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عند تعليقه على حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: **«قل آمنت بالله ثم استقم»**[1].

قال رَحِمَهُ اللهُ: فبيَّن ﷺ بهذه الوصية الجامعة أن العبد إذا اعترف بالإيمان ظاهراً وباطناً ثم استقام عليه قولاً وعملاً فعلاً وتركاً فقد كمل أمره واستقام على الصراط المستقيم ورجى أن يدخل مع من قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/٩٩ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.

*** (وهذه الأمور بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلٰه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الأمور بضع وسبعون شعبة...» إلخ.

مراده بالأمور هنا أمور الإيمان الظاهرة والباطنة التي قد بيناها سابقاً ودليله رَحِمَهُ اللهُ قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

فهذا الحديث شامل لأعمال القلب واللسان والجوارح التي هي من الإيمان فقول اللسان ظاهر في قول لا إلٰه إلا الله وعمل الجوارح في إماطة الأذى عن الطريق وعمل القلب هو الحياء الذي هو انكسار قلبي يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

*** (ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات مقربون وأصحاب يمين وظالمون لأنفسهم بحسب مقاماتهم من الدين والإيمان).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات...» إلخ دليله رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢].

فهذه الآية بينت مراتب الناس في الإيمان.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا كان المؤمنون ثلاث مراتب: مرتبة السابقين، ومرتبة المقتصدين، ومرتبة الظالمين، وكل واحدة من هذه المراتب أيضاً أهلها متفاوتون تفاوتاً كثيراً، والعبد المؤمن ـ في نفسه ـ له أحوال وأوقات تكون أعماله كثيرة قوية وأحياناً بالعكس. وكل هذا من زيادة الإيمان ونقصه وقوته وضعفه»[2].

---

(١) رواه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ، ورواه البخاري (٩) بلفظ الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان.

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/١٠٥.

وقال أيضاً: «ولهذا كانوا ثلاث درجات: سابقون مقربون وهم الذين قاموا بالواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات»[(١)]

وفضول المباحات، ومقتصدون وهم الذين قاموا بالواجبات وتركوا المحرمات وظالمون لأنفسهم وهم الذين تركوا بعض الواجبات.

*** (وأنه يزيد وينقص فمن فعل محرماً أو ترك واجباً نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلى الله).**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنه يزيد وينقص...» إلخ هذا مجمل اعتقاد أهل السنة في زيادة ونقصان الإيمان وقد خالفهم في هذا طائفتان:

**الأولى**: المرجئة الذين يقولون أن الإيمان هو الإقرار بالقلب وما عدا ذلك فليس من الإيمان ولهذا كله الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص فإيمان العاصي كإيمان جبريل ولذا يقولون: «لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة» فالزاني والسارق وشارب الخمر والعصاة عموماً عندهم كاملوا الإيمان.

**الثانية**: الخوارج والمعتزلة: قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان بل هي شرط في بقائه فمن فعل معصية من كبائر الذنوب فقد خرج من الإيمان غير أن الخوارج تقول عنه كافر والمعتزلة يقولون: فاسق وكلاهما يقولون بأنه مخلد في النار. وسيذكر المؤلف مزيداً من التفصيل في هذه المسألة.

*** (ويرتبون على هذا الأصل أن الناس ثلاثة أقسام منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً ومنهم من تركها كلها فهذا كافر بالله تعالى ومنهم من فيه إيمان وكفر وإيمان ونفاق أو خير وشر ففيه من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيعه من الإيمان).**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون على هذا الأصل العظيم»؛ أي: الأصل الرابع والمراد به مسألة الإيمان «أن الناس ثلاثة أقسام منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً».

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/ ٩٣ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمراد بحقوق الإيمان هنا أصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

قال: فوصف الله المؤمنين بهذه الصفات المتضمنة للقيام بأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه فإنهم وصفهم بالإيمان به إيماناً ظهرت آثاره في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة مع ثبوت الإيمان في قلوبهم يزداد إيمانهم كلما تليت عليهم آيات الله ويزداد خوفهم ووجلهم كلما ذكر الله وهم في قلوبهم وسرهم متوكلون على الله ومعتمدون في أمورهم كلها عليه ومفوضون أمورهم إليه وهم مع ذلك يقيمون الصلاة فرضها ونفلها يقيمونها ظاهراً وباطناً ويؤتون الزكاة وينفقون النفقات الواجبة والمستحبة ومن كان على هذا فلم يبقِ من الخير مطلباً ولا من الشر مهرباً ولهذا قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ الذين يستحقون هذا الوصف على الحقيقة ويحققون القيام به ظاهراً وباطناً[1]. انتهى.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم من تركها كلها فهو كافر بالله تعالى» أي: ومن أقسام الناس هذا القسم الثاني الذي ترك الإيمان جملة وتفصيلاً فلم يؤمن بأصول الدين كالإيمان بالله وملائكته المرسلة واليوم الآخر وغيرها وكذا فروعه كالصلاة والزكاة والحج والصوم وغير ذلك من أمور الإيمان الظاهرة والباطنة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم من فيه إيمان وكفر وإيمان ونفاق وخير وشر. . .» إلخ هذا هو القسم الثالث من أقسام الناس وهو الذي جمع بين خصال الإيمان وخصال الكفر أو خصال الإيمان وخصال النفاق والمراد بالكفر والنفاق هنا الكفر العملي والنفاق العملي إذ لو جمع في قلبه الكفر الاعتقادي والنفاق الاعتقادي لم يكن في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/ ٩٢ من مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فصل: وها هنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع فالخوارج والمعتزلة والقدرية ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة(١).

*** (ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر تنقص إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ولا يخلد في نار جهنم).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر...» إلخ.

هذا فيه الرد على الخوارج الذين يكفِّرون أهل القبلة من أصحاب الكبائر التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفه لأهل السنة: «وهم مع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي» كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. ولا يسلبون الفاسق أعلى اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم(٢).

---

(١) كتاب الصلاة لابن القيم ص٦٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/١٥١ ـ ١٥٢.

*** (ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة، بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج» كما ذكرناه سابقاً «أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة» فإن المعتزلة يقولون هو فاسق وليس بكافر مع موافقتهم الخوارج في تخليده في النار فوافقوا أهل السنة مقالاً وخالفوهم مآلاً ولذا قال: «بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته» هذا هو قول أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة فهم وسط بين الجهمية والمرجئة وبين المعتزلة والخوارج فأهل السُّنة يقولون: إن مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان ولذا يسمى عند أهل السنة مؤمناً ناقص الإيمان وبعبارة أخرى يسمى مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته أو يقال: مؤمن عاص آثم وهو معرض نفسه للعقوبة وهو تحت مشيئة الله إذا مات من غير توبة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ولكنه لا يخلد في النار «كما تقول المعتزلة والخوارج» بل يخرج منها بعد تطهيره من الذنوب والمعاصي إما بشفاعة أو بفضل الله ورحمته.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه» الفرق بين المعنيين أن مطلق الإيمان المراد به أن معه أصل الإيمان لكن كماله مفقود ففاعل الكبيرة مثلاً يقال: معه مطلق الإيمان؛ أي: الإيمان موجود معه ولكنه ناقص أما «الإيمان المطلق» فهو الإيمان الكامل.

وقد مر بنا قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

*** (وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنة).**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنة».

المراد بالأصول هنا ذكرها في الأصل الرابع في مسألة الإيمان فمن قام بها على الوجه الأكمل فقد حصل عنده الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنَّة بخلاف من ضل كالجهمية والمرجئة والمعتزلة والخوارج وغيرهم ممن ضل في مسألة الإيمان.

*** (ويترتب على هذا الأصل أن الإسلام يجبُّ ما قبله وأن التوبة تجبُّ ما قبلها وأن من ارتد ومات على ذلك فقد حبط عمله، ومن تاب تاب الله عليه).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويترتب على هذا الأصل العظيم أن الإسلام يجب ما قبله».

لقوله ﷺ في حديث عمرو بن العاص قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله**»[1].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن التوبة تجب ما قبلها» لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن من ارتد ومات على ذلك حبط عمله» لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد: ٣٤].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن تاب تاب الله عليه» لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٩].

*** (ويرتبون أيضاً على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان فيصح أن يقول أنا مؤمنٌ إن شاء الله لأنه يرجو من الله تعالى تكميل إيمانه فيستثني لذلك ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات فيستثني من غير شك منه بحصول أصل الإيمان).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون أيضاً على هذا الأصل العظيم الاستثناء في الإيمان..» إلخ.

---

(١) رواه مسلم (١/٧٨).

هذه المسألة العظيمة ساقها المؤلف لبيان قول أهل السنة في مسألة الاستثناء في الإيمان أي قول: «أنا مؤمن إن شاء الله».

وهذه المسألة الناس فيها على ثلاثة أقوال:

منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا هو أصح الأقوال في هذه المسألة.

فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه. فمتى استثنى الإنسان عندهم في إيمانه فقال: أنا مؤمن إن شاء الله، فهو شاك فيه.

أما الذين يوجبونه فهم الكلابية أصحاب ابن كلاب ووافقهم عليه كثير من أتباع الأئمة لكن هذا ليس قول أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم.

أما الذين يجيزون ذلك فهم أسعد الناس وذلك لموافقة قولهم نصوص الكتاب والسنة فخير الأمور أوسطها فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء وهذا مما لا خلاف فيه.

وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]. وغيرها من الآيات فالاستثناء حينئذ جائز وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله لا شكاً في إيمانه وهذا القول هو أقوى الأقوال(١).

*** (ويرتبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض أصله ومقداره تابع للإيمان وجوداً وعدماً وتكميلاً ونقصاً ثم يتبع ذلك الولاية والعداوة، ولهذا من الإيمان الحب في الله والبغض لله والولاية لله والعداوة لله).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ الله: «ويرتبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض..» إلخ.

---

(١) انظر الكلام في هذه المسألة في كتاب: الإيمان لشيخ الإسلام ٤/ ٤٢٩، مجموع الفتاوى شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٩٤.

هذه مسألة عظيمة جداً فهي أساس من أسس هذه العقيدة غفل عنها الكثير من الناس حتى أصبح عندهم اليهود والنصارى والسيخ وعُباد البقر والبوذيين وغيرهم من الوثنيين أفضل من المسلمين بل كم نسمع عن فلان وفلان من الناس يتحبب إلى فلان الكافر ويتودد إليه ويدنيه منه محبة لما عليه من الكفر بل إذا قام هذا الكافر وأعلن إسلامه ترى هذا الشخص يهينه ويبخسه حقه وغير ذلك من المعاملة السيئة ونسي هذا أن الرضى بالكفر كفر نعوذ بالله من الذل والخذلان.

وما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هو بيان لملة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

فأوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله والناس في هذه المسألة على ثلاث درجات:

**الأولى:** ما يحب من كل جانب وهم المؤمنون الموجودون القائمون لله بحقه المجتنبون ما حرم الله.

**الثانية:** من يحب من جانب ويكره ويبغض من جانب وهم العصاة من المؤمنين.

**الثالثة:** من يكره ويعادي من كل جانب وهم الكفار جميعهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان. ثم ذكر جملة من الآيات التي تدل على قوله ثم قال: ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطى من الموالاة بحسب إيمانه ومن البغض

بحسب فجوره[١]. انتهى بتصرف.

*** (ويترتب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويترتب على ذلك أيضاً محبة اجتماع المؤمنين ويحث على التآلف والتحابب وعدم التقاطع).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويترتب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه..» إلخ.

هذا أيضاً داخل في الإيمان فلا يتم إيمان العبد إلا بما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال أيضاً حينما سُئل عن حقوق المسلمين عليك قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

الجواب «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالواجب أن تتخذهم إخواناً تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتسعى بحسب مقدورك في مصالحهم وإصلاح ذات بينهم وتأليف قلوبهم واجتماعهم على الحق، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره وتقوم بحق من له حق خاص كالوالدين والأقارب والجيران والأصحاب والمعلمين»[٢].

وقال أيضاً: وفي الصحيحين أيضاً عن أنس مرفوعاً: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٣].

قال: وذلك يقتضي أن تقوم بحقوق إخوانك المسلمين الخاصة والعامة فإنه من الإيمان ومن لم يقم بذلك ويحب لهم ما يحب لنفسه فإنه لم يؤمن الإيمان الواجب بل نقص إيمانه بقدر ما نقص من الحقوق الواجبة عليه[٤].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/٢٢٧ ـ ٢٢٩.
(٢) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/٦٩ من مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) البخاري (١٣)، ومسلم (٥٦).
(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/٩٧ من مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

* **(ويبرأ أهل السُّنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض ويرون أن هذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا تصل إلى كفر أو بدعة موجبة للتفرق).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويبرأ أهل السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض...» إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذه مسألة عظيمة بل هي كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من أهم قواعد الإيمان إذ بفهمها والعمل بمضمونها تحفظ بيضة هذا الدين وكيان الأمة وما حدث للأمة من ضعف ووهن إلا بتفريطهم في فهم هذه القاعدة.

ولو نظرنا للقرآن والسُّنة لوجدنا فيها الكثير مما يدعو إلى عدم الفرقة ويدعو إلى التآلف.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»[(١)].

فبين ﷺ أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه للطحاوية عند قول الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

قال: فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول إما عادلون وإما ظالمون فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/١٠٢، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي ٢/٢٤١ وهو حديث حسن.

والظالم الذي يعتدي على غيره وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضاً.

ثم ذكر كلاماً في مسائل الاختلاف والافتراق خلاصته:

أن الاختلاف والافتراق في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

## أولاً: اختلاف التنوع وهو على وجوه:

منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين مشروعاً كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة ﵃.

ومثله اختلاف الأنواع كما في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح ومحل سجود السهو ونحو ذلك مما قد شرع جميعه وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر لكنَّ العبارتين مختلفتان كما يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصوغ الأدلة والتعبير عن المسميات ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها ونحو ذلك.

وهذا النوع من الاختلاف: الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغي كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار قطع قوم وترك آخرون، وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

## ثانياً: اختلاف التضاد:

«وهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور

الذين يقولون: إن المصيب واحد والخطب في هذا أشد لأن القولين يتنافيان. لكن تجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقاً ما فيروا الحق مع الباطل حتى يبقى مبطلاً في البعض كما كان الأول مبطلاً في الأصل وهذا النوع ما حمد فيه إحدى الطائفتين وذمت الأخرى»[(١)].

*** (ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم وعملهم على الفضل والسوابق والمناقب وما فضلوا فيه سائر الأمة).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم..» إلخ.

ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام لبيان ما يعتقده أهل السُّنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وكأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يرد على الروافض والخوارج، فالروافض يقولون بتكفير أصحاب النبي ﷺ وأنهم ارتدوا بعد موت النبي ﷺ حتى أبو بكر وعمر لم يسلما من تكفيرهم قبحهم الله ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت ونفراً قليلاً ممن قالوا إنهم من أولياء آل البيت حتى إن غلاتهم كفروا علي بن أبي طالب وذلك لأن علياً أقر الظلم والباطل حينما بايع أبا بكر وعمر وكان الواجب عليه إنكار بيعتهما.

أما الخوارج: فهم عكس الروافض فقد كفَّروا علياً ومعاوية بن أبي سفيان وكل من لم يكن على طريقتهم واستحلوا دماءهم.

أما أهل السُّنة والجماعة فهم وسط بين الطائفتين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أصول أهل السُّنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أن**

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/ ٧٧٥ ـ ٧٨٦.

**أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[١]. ويقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاث مائة وبضعة عشر: **«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[٢]. وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ[٣]. بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربع مائة.. إلى آخر ما قاله رحمه الله[٤].

*** (ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم وأنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم من كل شر).**

**الشرح:** قوله رحمه الله: «ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم..» إلخ أي: من الدين محبة الصحابة ونشر فضائلهم لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ ومحبة رسول الله من محبة الله أما نشر فضائلهم فتتمثل في كونهم من أصدق الناس وأنصحهم وأحسنهم أخلاقاً وأدباً بل هذه الصفات وغيرها من الصفات الحميدة لا توجد عند غيرهم.

قال الشيخ رحمه الله في سؤال وجواب في أهم المهمات حينما سُئل عن الواجب نحو الصحابة فقال:

من تمام الإيمان برسول الله ﷺ ومحبته محبة أصحابه بحسب مراتبهم في الفضل والسبق والاعتراف بفضائلهم التي فاقوا فيها جميع الأمة وأن تدين الله بحبهم ونشر فضائلهم وتمسك عما شجر بينهم، وتعتقد أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم عن كل شر وأنهم جميعاً عدول مرضيون[٥].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٥٤١).
(٢) البخاري (٣٠٠٧)، مسلم (٢٤٩٤).
(٣) رواه مسلم (٢٤٩٦)، أبو داود (٤٦٥٣)، الترمذي (٣٨٥٩).
(٤) انظر: العقيدة الواسطية وشرحها للشيخ ابن عثيمين ٢/٢٤٧ ـ ٢٧٣.
(٥) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/ ٧٠، مجموع مؤلفات ابن سعدي رحمه الله.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويمسكون عما شجر بين الصحابة..» إلخ أي: أن أهل السُّنة والجماعة طريقتهم الإمساك عما شجر بين الصحابة لما في ذلك من توليد العداوة والبغضاء والحقد على أحد الطرفين وذلك من أعظم الذنوب والواجب حب الجميع والترضي عنهم والترحم عليهم والاعتراف بفضائلهم.

*** (ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها ويدفع عنها عادية المعتدين).**

**الشرح:** وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام...» إلخ.

قال في سؤال وجواب في أهم المهمات:

نعتقد أن نصب الإمام فرض كفاية، فإن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين وإقامة الحدود على الجناة، ولا تتم إمامة إلا بطاعة في المعروف في غير معصية، والجهاد ماض مع البر والفاجر، ويعانون على الخير وينصحون عن الشر[١].

*** (ولا تتم إمامته إلا بطاعة بغير معصية الله تعالى).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تتم إمامته إلا بطاعة بغير معصية الله..» إلخ هذا مما جاءت به نصوص الكتاب والسُنة فأهل السنة والجماعة يرون أن طاعة ولي الأمر واجبة وإن كان فاسقاً بشرط أن لا يخرجه فسقه إلى الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان فهذا لا طاعة له، بل يجب على الأمة إزالته عن تولي أمر المسلمين، ودليل أهل السنة على وجوب طاعة الإمام كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[٢].

والإمامة هنا ليست قاصرة على الملوك والرؤساء بل هي شاملة قادتهم

---

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/ ٧٠.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) و(٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

في تنظيم شؤون الدنيا وفي إقامة معالم الدين ونشره بين الناس فيدخل في ذلك الإمام الأعظم والقضاة والأمراء وجميع من لهم ولاية عامة أو خاصة.

*** (ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد وإلا باللسان وإلا فبالقلب على حسب مراتبه الشرعية وطرقه المرعية).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..» إلخ ذلك لأن الله وصف هذه الأمة بذلك قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يتم»؛ أي: لا يكمل إيمان العبد إلا بذلك.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «باليد وإلا باللسان وإلا بالقلب» هذه مراتب تغيير المنكر الثلاثة دليلها قوله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**(١).

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «على حسب مراتبه الشرعية»؛ أي: التي ذكرناها آنفاً وهي مرتبة التغيير باليد ومرتبة التغيير باللسان ومرتبة التغيير بالقلب.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وطرقه المرعية» أي: الطرق التي رعاها الشارع ووضعت كضوابط للأمر والنهي فمن هذه الضوابط:

١ ـ أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالماً بما يأمر به.

٢ ـ أن يكون قادراً على ذلك فإن علم يقيناً أنه قد يلحقه أذى في ماله أو نفسه أو أهله فلا يجب عليه لأن جميع الواجبات مشروطة بالقدرة والاستطاعة.

---

(١) رواه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢).

٣ ـ أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أعظم من السكوت وبهذا يكون إنكار المنكر أربع درجات.

**الأولى:** أن يزول ويخلفه ضده فهذا مشروع بل هو واجب شرعاً.

**الثانية:** أن يقل المنكر وإن لم يزل من جملته فهذا أيضاً واجب شرعاً.

**الثالثة:** أن يخلفه ما هو مثله من منكر فهذا محل نظر واجتهاد.

**الرابعة:** أن يخلفه ما هو شر منه فهذا محرّم.

*** (وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين ومن تمام هذا الأصل).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية..» إلخ أي: التي ذكرها المؤلف والتي لم يذكرها وجعلها أهل العلم أصولاً شرعية وقوله: «على الوجه الشرعي» أي: الذي جاءت به نصوص الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين وغيره «من تمام الإيمان» أي: لا يتم إيمان العبد إلا بالقيام بكل الأصول الشرعية.

فمن قام بهذه الأصول الشرعية الصحيحة المحكمة فهو المؤمن حقاً فإن فاقد الإيمان بها لا خير فيه لأنه إذا عدم الإيمان فإما أن يكون الإنسان أحواله كلها شر وضرر على نفسه أو على مجتمعه الذي يعيش فيه أو يكون الإنسان فيه بعض الخير الذي قد انغمر بالشر وغلب شره خيره. قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمصالح إذا انغمرت واضمحلت في المفاسد صارت شراً لأن الخير الذي معه يقابله شر نظيره فيتساقطان ويبقى الشر الذي لا مقابل له من الخير يعمل به»[1].



(١) توضيح شجرة الإيمان ٣/ ١٣٩.

## الأصل الخامس
## طريقهم في العلم والعمل

*** (وذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلزمون أن لا طريق إلى الله وإلى كرامته إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، فالعلم النافع هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مجتهدون في معرفة معانيها والتفقه فيها أصولاً وفروعاً).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل».

بعد أن انتهى المؤلف رَحِمَهُ اللهُ من بيان طريقة أهل السنة والجماعة العقدية والعملية بدأ في بيان طريقتهم في العلم والعمل فقال رَحِمَهُ اللهُ: «ذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلزمون أن لا طريق إلى الله» أي: لا طريق موصل إلى الله تعالى «وإلى كرامته» أي: ما يكرم به الرب العبد من كرامات حسية أو معنوية فالحسية ما يجريها الله تعالى على يديه كما جرى للأولياء من هذه الأمة والتكريم المعنوي هو ما يحصل لنفس الإنسان من الراحة والأنس بالله ومحبته ومحبة ما شرعه لعباده فهذا أعظم كرامة يكرم بها الله العبد بل وأعظم من ذلك تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة العلمية والعملية القولية والفعلية والمالية ولا يتم ذلك إلا بأمرين ذكرهما المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فقال: «إلا بالعلم النافع والعمل الصالح» أما العلم النافع فقد وضحه المؤلف بقوله: «هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ» إلى قوله: فهذا طريقهم في العلم.

«أما العمل الصالح» فقد بينه رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأسسها» فالعمل الصالح؛ أي: المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة فإذا خلا

هذا العمل من الصلاح خربت عقائد البشر وبخراب العقائد تخرب الدنيا ولذا قيده رَحِمَهُ اللَّهُ بـ «الصالح» أما الأعمال الفاسدة فهي في الحقيقة خراب للأفراد والمجتمعات وما أكثرها في هذا الزمان فما أكثر الذين يدعون إلى التحلل الديني والعقدي والأخلاقي ويظنون بذلك أنهم يحسنون صنعاً قال تعالى في وصفهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

وقوله: «مجتهدون في معرفة معانيها»؛ أي: معرفة معاني الكتاب والسنة وما تدل عليه هذه المعاني «والتفقه فيها» لأنها أصل من أصول التشريع الذي يستمد منه الفقه في الدين.

*** (ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام» أي: أهل السنة مسلكهم في الأدلة شامل لجميع الدلالات فإن كانت دلالة الكتاب والسنة على جميع المعنى فهي دلالة مطابقة وإن كانت على بعضه فدلالة تضمن وإن كانت على توابع الحكم من شروط وتتمات فدلالة التزام.

فخرجنا من قوله رَحِمَهُ اللَّهُ هذا شموله العمل بالسنة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله» أي: أن أهل السنة يبذلون ما في وسعهم وما أعطاهم الله تعالى من علم وإدراك وقوة سواء بالنظر إلى أقوال أهل العلم أو بالذهاب إليهم وسؤالهم عما أشكل عليهم في الكتاب والسنة.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان دلالة التضمن والالتزام والمطابقة:

والدلالة من الكتاب والسنة ثلاثة أقسام:

دلالة مطابقة إذا طبقنا اللفظ على جميع المعنى.

ودلالة تضمن إذا استدللنا باللفظ على بعض معناه.

ودلالة التزام إذا استدللنا بلفظ الكتاب والسنة ومعناهما على توابع ذلك ومتمماته وشروطه وما لا يتم ذلك المحكوم فيه أو المخبر عنه إلا به(١).

*** (ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة ومناسبات حكيمة وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي كما أن ما ضاده وناقضه هو علم باطل فهذا طريقهم في العلم).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة»؛ أي: المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ «هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة» ذلك لأن القياس أحد الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية «ومناسبات حكيمة» أي: ما تناسب مع هذه العلوم النافعة من أحكام «وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي».

حد العلم ما قامت عليه الأدلة والبراهين والنافع من هذا العلم ما تعلق بالدين وكان من العلوم المعينة عليه فهذه الاختراعات الحادثة التي استخدمها الداعون إلى الله تعالى هي من العلوم النافعة بل هي من العلوم الشرعية فهي معينة على الدين وقوة المسلمين.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والعلم النافع هي العلوم الشرعية وما أعان عليها من العلوم العربية بأنواعها، ومن العلوم الشرعية تعلم الفنون المعينة على الدين وعلى قوة المسلمين وعلى الاستعداد للأعداء للمقاومة والمدافعة فإنها داخلة في الجهاد في سبيل الله»(٢).

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «كما أن ما ضاده وناقضه هو علم باطل» الضمير في ضاده يعود على العلم الشرعي فكل علم ناقض العلوم الشرعية وضادها كعلم الكلام والفلسفة والعلوم المخالفة للدين التي سماها أهلها رقياً وتقدماً وغيرها من العلوم التي تضر بالأفراد والمجتمعات كلها علوم باطلة وإن زخرفها أهلها

---

(١) مجموع مؤلفات ابن سعدي، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه ٤/ ١٠.

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (ابن سعدي ص١٠).

بالمسميات وروجوا لها بأنها من الثقافة العصرية ونحو ذلك كل هذه العلوم باطلة مضادة للعلوم الشرعية النافعة.

*** (وأما طريقهم في العمل فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأساسها).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأما طريقهم في العمل فإنهم...» إلخ.

بعد أن ذكر رَحِمَهُ اللهُ طريقة أهل السنة في العلم بدأ في بيان طريقتهم في العمل فإن منهجهم فيه هو التقرب إلى الله تعالى مع الإذعان والتصديق والاعتراف «بعقائد الإيمان» التي بينها رَحِمَهُ اللهُ في هذه الرسالة فإن هذه العقائد هي أصل العبادات وأساسها وما عداها فرع على هذه الأصول.

*** (ثم يتقربون إلى الله بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه وحقوق عباده مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات تعبداً لله تعالى).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ثم يتقربون إلى الله بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه» فالصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد في سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الفرائض التي هي حق خالص لله تعالى أما الفرائض المتعلقة بحقوق عباده فهي كحقوق الوالدين وكذا صلة الأرحام وحقوق الجار وزيارة المريض وتشميت العاطس وتشييع الجنائز وغيرها مما هو حق محض للعباد.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: «مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات» كنافلة الصلاة والصوم والحج والعمرة والصدقة وغيرها من النوافل المشروعة بل من صفتهم أيضاً أنهم يتركون المحرمات التي أفاضت بها نصوص الكتاب والسنة وكذلك المنهيات.

وقوله: «تعبداً لله تعالى» أي: ليس عبادة بدون قصد ونية بل عبادة لله تعالى فالعبد إذا فعل المأمور وترك المحظور تعبداً لله أجر عليه فكأن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يريد أن يحثنا على أن تكون أعمالنا كلها بنية لكي نؤجر على ذلك.

*** (ويعلمون أن الله لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم مسلوكاً فيه طريق النبي الكريم ويستعينون بالله في سلوك هذه الطرق النافعة التي هي العلم النافع والعمل الصالح الموصل إلى كل خير وفلاح وسعادة عاجلة وآجلة والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويعلمون أن الله لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم».

بعد أن بيَّن رَحِمَهُ اللهُ الأصول الجامعة لمنهج أهل السنة والجماعة وبين سلوكهم في العلم والعمل بين أن هذا لا يقبل إلا بشرطين:

**الأول:** الإخلاص لله تعالى.

**الثاني:** اتباع النبي ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «هاتان القاعدتان: وهي الإخلاص والمتابعة شرط لكل عبادة ظاهرة وباطنة فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، وكل عمل لا يكون على سُنة رسول الله فهو مردود فإذا اجتمع للعمل الإخلاص للمعبود وهو أن يراد بالعمل وجه الله وحده، والمتابعة للرسول وهو: أن يكون العمل قد أمر به فهو العمل المقبول»[(١)].

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويستعينون بالله في سلوك هذه الطرق..» إلخ أي: أن أهل السنة والجماعة عند سلوكهم الطرق النافعة يعلمون أنه لا بد من الاستعانة بالله للحصول على العلم النافع والعمل الصالح ولذا يقولون دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ أي: نستعين بك على مصالحنا الدينية والدنيوية فأنت المعين على ذلك ولذا قال ﷺ لمعاذ لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

فالعبد محتاج إلى ربه في كل شيء في عبوديته له وفي شؤون حياته التي يعيشها هو دائماً في حاجة إلى ربه أن يعينه عليها.

---

(١) منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة ٤/ ١٧٢ مجموع مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على ما فيه الخير والفلاح لنا في الدنيا والآخرة إنه سبحانه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



*** (ودخل في ذلك إثبات علوه على خلقه واستوائه على عرشه ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته).**

**الشرح**: أي: ودخل في توحيد الأسماء والصفات هذه الأمور الثلاثة؛ الأول: علوه على خلقه، الثاني: استوائه على عرشه، الثالث: نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته. وقد أفرد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الثلاث بالذكر لأن أكثر الفرق خالفت أهل السنة في ذلك بما فيهم الأشاعرة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ «. . . إثبات علوه على خلقه» علو الله تعالى من صفاته الذاتية كما سيوضحه رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك وعلو الله تعالى ينقسم إلى قسمين.

علو ذات: معناه أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذاته فوق جميع مخلوقاته.

وعلو صفة ومعناه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . واستوائه على عرشه» استواء الله على عرشه من الصفات الفعلية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة والاستواء معناه علوه واستقراره على عرشه علواً واستقراراً يليق بعظمته وجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بخلاف ما جاءت به تأويلات أهل البدع من تفسير الاستواء بالاستيلاء تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا. .» إلخ نزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وحكمته ونزوله سبحانه نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته ولا يصح تحريف معناه إلى غير ذلك من التحريفات الباطلة مثل قولهم معنى النزول نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته فهذا من أبطل الباطل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «نعرف ربنا بأنه عليَّ أعلى بكل معنى واعتبار علو الذات وعلو القدر والصفات وعلو القهر وأنه بائن من خلقه مستو على عرشه كما وصف لنا نفسه بذلك إلى آخر ما قاله[1] رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/ ٦٣ ومؤلفات الشيخ ابن سعدي قسم العقيدة.

*** (ودخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفك عنها كالسمع والبصر والعلم والعلو ونحوها والصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وقدرته كالكلام والخلق والرزق والرحمة والاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا كما يشاء وأن جميعها تثبت من غير تمثيل ولا تعطيل وأنها كلها قائمة بذاته وهو موصوف بها).**

**الشرح**: تنقسم صفات الله تعالى إلى قسمين ذكرهما المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

**الأولى**: الصفات الذاتية وفسرها بقوله: «التي لا ينفك عنها» أي: التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كصفة السمع والبصر والعلم والعلو والقدرة والعزة والحكمة وكذلك صفة الوجه واليدين والعينين.

**الثانية**: الصفات الفعلية وبيَّنها رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «المتعلقة بمشيئته وقدرته» أي: التي إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كصفة الرحمة والرزق والخلق والاستواء والنزول وغيرها من صفات الأفعال.

أما الكلام فقد أدخله المؤلف بأنه من صفات الأفعال وهذا حق ولكنه أيضاً يعد من صفات الذات فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام فإنه صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئه[1]. ثم ذكر المؤلف المحاذير التي يجب التخلي عنها عند إثبات صفات الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَى «وأن جميعها تثبت من غير تمثيل ولا تعطيل».

*** (وأنه تعالى لم يزل ولا يزال يقول ويفعل وأنه فعال لما يريد ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء لم يزل بالكلام موصوفاً وبالرحمة والإحسان معروفاً).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأنه تعالى لم يزل ولا يزال يقول ويفعل وأنه فعال لما يريد» ذكر هذا الكلام رَحِمَهُ اللهُ رداً على الجهمية والمنحرفين من أهل الكلام الذين توهموا أن الفعل هو المفعول وأنه إذا كان غيره لزم حلول الحوادث بالله

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين الكافية الشافية ٣/ ٢٣٣ مجموع مؤلفات ابن سعدي.

وهذا الوهم باطل وخطأ وضلال واضح فإن الله لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل يفعله؛ أي: يفعل الأشياء ويحدث الحوادث شيئاً بعد شيء ولا يلزم من هذا حلول الحوادث في ذاته وأن الحوادث منفصلة عنه والفعل الذي هو الوصف قديم النوع ولكنه لا يزال يفعل ما يريد[1].

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء لم يزل بالكلام موصوفاً» أي: أنه سبحانه لم يزل ولا يزال بصفة الكلام معروفاً وموصوفاً وكلامه سبحانه من صفاته الذاتية الفعلية غير مخلوق كسائر صفات أفعاله.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وذكر كلامه في مواضع كثيرة من كتابه[2].

*** (ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأنه المتكلم به حقاً وأن كلامه لا ينفد ولا يبيد).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام الله...» إلخ الضمير في ذلك يعود على توحيد الأسماء والصفات وقد بيَّن الشيخ عقيدة سلف الأمة في القرآن فقال: بأنه «كلام الله» منزل غير مخلوق بخلاف كلام المعتزلة والكلابية والأشاعرة والكرامية وغيرهم ممن قالوا: بأنه مخلوق أو أنه عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلامه ونحو ذلك من الأقوال الباطلة. فأهل السنة يعتقدون أن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزل على رسوله وحياً وصدقه على ذلك المؤمنون حقاً وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده بسقر. وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «منه بدأ» أي: ظهر وخرج منه سبحانه؛ أي: هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه «وإليه يعود» أي: يرجع بأن يسري به في آخر الزمان ويرفع فلا يبقى في الصدور ولا في المصاحف منه آية.

---

(١) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ٣/٣١٧ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) الحق الواضح المبين ٣/٢٣٢ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.

*** (ودخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب وأنه مع ذلك علي أعلا وأنه لا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وصفاته).**

**الشرح**: أي: ودخل في الإيمان بأسماء الله وصفاته الإيمان بأنه قريب مجيب... إلخ. وحيث إن مسألة علو الله على خلقه حصل فيها اختلاف كثير ومخاصمات بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف الجهمية والمعتزلة ومن حذا حذوهم من الأشاعرة وغيرهم بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ معتقد أهل السنة والجماعة فيها وقد ذكرنا طرفاً مما قاله الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ولكن هنا ذكر الشيخ أمراً آخر وهو أنه مع علوه سبحانه على عرشه فإنه قريب منهم ولا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في الواسطية: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون».

وقال أيضاً: «وقد دخل في الإيمان بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية. وقوله ﷺ للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالذكر: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه[1].

*** (ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من الأسماء والصفات والأفعال وأحكامها على وجه يليق بعظمة الباري ويعلم أنه كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته).**

**الشرح**: قوله رحمه الله: «ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن

---

(١) انظر: الواسطية لشيخ الإسلام.

بكل ما جاء به الكتاب والسنة...» إلخ يريد أن يبين ما يقتضيه الإيمان بالأسماء والصفات فإنه يجب الإيمان بجميع ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية لا نؤمن ببعض ونكفر بالبعض الآخر كما فعلت بعض الطوائف الذين آمنوا ببعض الصفات وأولوا البعض الآخر وصرفوا النصوص عن ظاهرها أو آمنوا بالأسماء ثم عطلوا ما يقتضيه الاسم فقالوا: رحيم بلا رحمة أو عزيز بلا عزة وهكذا في جميع أسماء الله تعالى فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بين ذلك أتم البيان وعلله بأنه «كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته» وذلك لأن القول في الذات كالقول في الصفات ولذلك قالوا: لو قال لك المعطل: أنا لا أثبت صفاته لأن إثباتها يقتضي التشبيه أو التمثيل فقل له إذاً: صف لي ذاته فلا بد أن يقول لك: لا أعلم كيفية ذاته فقل له: إذاً فكما أنك لا تعلم كيفية ذاته كذلك لا تعرف كيفية صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

*** (ومن ظن أن في بعض العقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات على غير معناها المعروف فقد ضل ضلالاً مبيناً).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن ظن أن في بعض العقليات...» إلخ يريد أن يرد على الذين أولوا صفات الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقالوا: بأنها لا تدل على إثبات تلك الصفة لله سبحانه وإنما تدل على معنى آخر فقالوا مثلاً في صفة اليد: إنه ليس له ثمَّ يد وإنما هي كناية عن القدرة وكذا في صفة الرضى فأولوها فقالوا: لا تثبت لله هذه الصفة وإنما المراد إرادة الإنعام وكذا في باقي الصفات أولوها على غير المراد وذلك باستخدام عقولهم القاصرة قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتبين أن التأويل الصحيح كله يعود إلى فهم مراد الله ورسوله وإلى العمل بالخبر، وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ويراد به صرف النصوص عن معناها الذي أراده الله ورسوله، إلى بدعهم وضلالهم وهو من أعظم ما يدخل في القول على الله بلا علم وقول غير الحق.

وقال أيضاً ـ يعني ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود»[1].

*** (ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله» وذلك لأن الأدلة القرآنية دلت على ذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦] قال أهل التفسير في معنى (ما): في الآية وجهان:

**أحدهما**: أن تكون بمعنى المصدر فيكون معنى الآية: والله خلقكم وعملكم.

**الثاني**: أن تكون (ما) بمعنى الذي فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه من الأصنام[2] وغيرها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله وقضائه وقدره ولكنهم هم الفاعلون لها لم يجبرهم الله عليها مع أنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم، فهي فعلهم حقيقة وهم الموصوفون بها المثابون المعاقبون عليها وهي خلق الله حقيقة فإن الله خلقهم وخلق مشيئتهم وقدرتهم وجميع ما يقع بذلك فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة»[3].

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ١٨٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/ ١٥، زاد المسير، لابن الجوزي ٧/ ٧٠.
(٣) سؤال وجواب في أهم المهمات، لابن سعدي ص٦٥ من مجموع مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

*** (وأن لهم أفعالاً وإرادة تقع بها أفعالهم وهي متعلق الأمر والنهي وأنه لا يتنافى الأمران إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والأفعال والصفات وإثبات قدرة العبد على أفعاله وأقواله).**

**الشرح:** كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المقطع والذي قبله كله يرد على طائفتين ممن خالفوا أهل السنة وهم الجبرية الذين قالوا بأن العبد مجبور على فعله فالعباد عندهم ليسوا فاعلين حقيقة وإسناد الأفعال إليهم من باب المجاز أما الطائفة الثانية فهم القدرية مجوس هذه الأمة الذين قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد وإنما هم خالقوها استقلالاً دون مشيئة الله وتقديره لها فبيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ معتقد أهل السنة في ذلك. وخلاصة القول في مسألة خلق أفعال العباد: أن أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله وقضائه وقدره فقد علم الله ما سيخلقه في عباده وعلم ما هم فاعلون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء ومضى فيهم قدره. فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]

*** (ولا يتم توحيد العبد حتى يخلص العبد لله تعالى في إرادته وأقواله وأفعاله وحتى يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة وهو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يتم توحيد العبد حتى يخلص العبد لله تعالى في إرادته وأقواله وأفعاله» هذا الكلام في بيان كيفية تحقيق التوحيد فذكر

---

(١) الواسطية ص١٧٥ شرح الفوزان.

الشيخ طرفاً من كيفية تحقيقه وقال أيضاً: «فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع القولية الاعتقادية والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع التي تكدر التوحيد وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره»[١].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشرك الأكبر: «وهو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى» هذا هو تعريف الشرك الأكبر فمتى صرف العبد نوعاً من أنواع العبادة كنذر وذبح ونحوها لغير الله فهو مشرك كافر لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالشرك الأكبر أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو غير الله أو يرجوه أو يخافه فهذا مخرج من الدين وصاحبه مخلد في النار»[٢].

*** (وكمال ذلك أن يدع الشرك الأصغر وهو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكمال ذلك» أي: وكمال التوحيد يكون بأن «يدع الشرك الأصغر» ثم عرفه بقوله: «وهو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر» ثم مثل له بقوله: «كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك» فحد الشرك الأصغر عند ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كل وسيلة وذريعة يتطرق فيها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[٣].

أما جمهور أهل العلم فيُعرِّفون الشرك الأصغر بأنه: «ما أتى في

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ٣/ ١٢ مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي.
(٢) أهم المهمات ٣/ ٦٥.
(٣) القول السديد ص ٢٤.

النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر»[١].

وتعريف الجمهور هو ما أفتت به اللجنة الدائمة فقالت:

الشرك الأصغر هو: «كل ما نهى عنه الشرع بما هو ذريعة إلى الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً»[٢].

والفرق بين تعريف ابن سعدي وجمهور أهل العلم هو:

أن جمهور أهل العلم يشترطون كون الفعل جاءت به نصوص الشريعة بتسميته شركاً كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت وغيرها من الأقوال أما ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فيضيق هذا الأمر تضييقاً محكماً فيجعل الوسائل كلها سواء جاء تسميتها شركاً أو لم تجيء هي في حكم الشرك الأصغر وعلى ذلك فمثلاً قراءة القرآن عند صاحب القبر على قول الجمهور أنها بدعة لأنه لم يأت تسميتها شركاً أما عند ابن سعدي فيرى أنه من جملة الشرك الأصغر لأنها وسيلة لحصول الشرك الأكبر. ولعل تفسير ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ للشرك الأصغر هو الأضبط والأولى في ذلك والله أعلم.

*** (والناس في التوحيد على درجات متفاوتة بحسب ما قاموا به من معرفة الله والقيام بعبوديته فأكملهم في هذا الباب من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه ومعانيها الثابتة في الكتاب والسُّنة وفهمها فهماً صحيحاً فامتلأ قلبه من معرفة الله وتعظيمه وإجلاله ومحبته والإنابة إليه وانجذاب جميع دواعي قلبه إلى الله تعالى متوجهاً إليه وحده لا شريك له).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «والناس في التوحيد على درجات متفاوتة»، كما بين ذلك ربنا بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فأعظمهم وأكملهم آخرهم ذكراً وذلك لكمال علمه بخالقه تَبَارَكَ وَتَعَالَى فسابق إلى فعل الخيرات مع ما هو فيه من كمال توحيد خالقه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولا يتم ذلك إلا بالعلم به سبحانه والعلم بأسمائه

(١) المجموع الثمين ٢/ ٢٧، باب من تبرك بشجر أو حجر.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٥١٧.

وصفاته وأفعاله لذا قال رَحِمَهُ اللهُ: «فأكملهم في هذا الباب» أي: فأكملهم في باب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد «من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته» أي عرف الاسم وما يقتضيه هذا الاسم وعلم الصفة وما تقتضيه هذه الصفة فمثلاً علم أن من أسمائه «السميع البصير» فيؤمن بتفاصيل هذين الاسمين فالسميع أي: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها: سرها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات، بل القريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء أما البصر فيؤمن بتفاصيل هذا الاسم أيضاً من أنه سبحانه أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الظاهرة والباطنة وهكذا في جميع أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصفاته.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأفعاله وآلائه ومعانيها الثابتة في الكتاب والسنة».

أما أفعال الله سبحانه فكلها متعلقة بصفاته الثلاث: القدرة الكاملة والمشيئة النافذة والحكمة الشاملة فلا تخرج أفعاله سبحانه عن ذلك.

### أما أفعاله سبحانه الاختيارية فهي نوعان:

**الأول:** متعلقة بذاته المقدسة كالاستواء على العرش والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا والمجيء والإتيان ونحوها.

**الثاني:** تتعلق بالمخلوقات كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعطاء والمنع وأنواع التدابير الكونية والشرعية.

أما آلائه تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهي نعمه الظاهرة والباطنة التي ينعم بها على عباده.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «وفهمها فهماً صحيحاً» أي: فهم أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه «فهماً صحيحاً» أي: بما فهمه سلف الأمة رضوان الله عليهم لا بفهم أهل البدع الذين انحرفوا عن منهج السلف الصالح.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فامتلأ قلبه من معرفة الله وتعظيمه وإجلاله. . .» إلخ.

فهذا لا شك هو أعرف الناس بربه فمتى عرف العبد أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلاءه الظاهرة والباطنة حق المعرفة فلا بد أن تدله إلى محبة الرب وتعظيمه وإجلاله.

فبقدر معرفة العبد بأسماء الله وصفاته بقدر ما يحصل له من خشية وإنابة وخوف منه سبحانه.

*** (ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان والإخلاص التام الذي لا يساويه شيء من الأغراض الفاسدة فاطمأن إلى الله معرفة وإنابة وفعلاً وتركاً وتكميلاً لنفسه وتكميلاً لغيره بالدعوة إلى هذا الأصل العظيم فنسأل الله من فضله وكرمه أن يتفضل علينا بذلك).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان».

الضمير هنا يعود على أكمل الناس في درجات التوحيد فبعد أن بين الوسائل التي يكمل بها توحيد العبد وذلك بمعرفة الرب سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله وآلائه وغيرها مع فهمها فهماً صحيحاً قرن ذلك كله بوقوعها على الوجه المرضي له سبحانه بأن تكون في كمال الإيمان والإخلاص التام فلا يكفي العلم فرب علم أعقبه ندم كثير فالعلم بالله والعلم بأحكامه الشرعية لا بد أن يكون على إخلاص لا يساويه شيء من الأغراض الفاسدة كالرياء والسمعة ومحبة الذكر وغيرها قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاطمأن إلى الله معرفة»؛ أي: معرفة بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته مع ما يقتضيه ذلك كله «وإنابة» الإنابة هي التوبة النصوح والرجوع إلى الله تعالى.

«وفعلاً» أي: وفعلاً لأوامره ﷻ أمر بها «وتركاً» أي: تركاً لمنهياته التي نهى عنها «وتكميلاً لنفسه» وذلك بفعل نوافل الطاعات «وتكميلا لغيره» لأن هذا من الدين الذي بينه ﷺ «الدين النصحية»[١].

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنصحية لأئمة المسلمين وعامتهم: أن يحب لهم الخير ويكره لهم الشر ويسعى في ذلك بحسب مقدوره، فيعلِّم جاهلهم، ويرشد منحرفهم، ويذكِّر غافلهم، ويعظ معرضهم ومعارضيهم، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ويسلك كل طريق فيه صلاح لإخوانه المسلمين ويسعى في تأليف ذات بينهم، وفي إرشادهم على اختلاف طبقاتهم لمصالح دينهم ودنياهم كل أحد على حسب حاله»[١].

وقال أيضاً: «وأما واجب أهل العلم المتعلق بالخلق فإن مهمتهم أعظم المهمات وعليهم من القيام بالحقوق أضعاف ما على غيرهم، فإن الله أوجب على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، فيعلمون الجاهل وينصحون ويذكرون ويعظون ويصدعون بأمر الله، ويظهرون دين الله، فكما أمر الله الجهال أن يتعلموا فقد أمر أهل العلم أن يعلموا الناس على اختلاف طبقاتهم، وأن يحنوا عليهم ويعلموهم مما علمهم الله»[٢].



(١) فتح الرحيم الملك العلام ص١٠٣.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة لابن سعدي ١/ ٤٣٩ مجموع مؤلفات ابن سعدي.

# الأصل الثاني
# الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموماً
# ونبوة محمد ﷺ خصوصاً

قوله رَحِمَهُ اللهُ «الأصل الثاني»؛ أي: الأصل الثاني من أصول العقائد الدينية «الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموماً» لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله ﷺ في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[1].

فمن كفر بواحد من الأنبياء فهو كافر بهم جميعاً وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ونبوة محمد ﷺ خصوصاً» لأنه خاتم النبيين ورسالته عامة لجميع الناس قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

*** (وهذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وإرساله وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه).**

**الشرح:** ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في بيان ما يتضمنه الإيمان بالرسل فقال: «وهذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله

(١) رواه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

بوحيه وإرساله» هذا هو الأمر الأول ودليله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]. فهذا دليل الاختصاص بالنبوة والرسالة ودليل الإحياء والإرسال قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ۝١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه» هذا هو الأمر الثاني فيما يجب نحو الإيمان بأنبياء الله ورسله فإنهم واسطة بين الله وبين خلقه فلم يكن لهم من صفات الربوبية والألوهية شيء. قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فلا يجوز للعبد أن يتوجه بشيء من أنواع العبادات لغير الله.

*** (وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً وأعمالاً).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به» أي: ومما يجب الإيمان به نحو أنبياء الله ورسله أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أيدهم بالبراهين وهي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم فوجب أن جميع ما يخبر الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي فمتى علم المؤمن بالرسول أنه أخبر

بشيء من ذلك جزم جزماً قاطعاً أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به وأنه يمنع أن يعارضه دليل قطعي لا عقلي ولا سمعي وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو بحجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

*** (وأن الله خصهم بخصائص وفضائل لا يلحقهم بها أحد وأن الله برأهم من كل خلق رذيل).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأن الله خصهم بخصائص وفضائل...» إلخ؛ أي: ومن جملة ما يجب الإيمان به نحو أنبياء الله ورسله أن الله خصهم بخصائص وفضائل ليست مما تكون لغيرهم يعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء كما ذكرنا سابقاً في ذكر بعض المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ورسله وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يلحقهم بها أحد» كمن يدعي النبوة أو السحرة والمشعوذون فإن لهم خوارق للعادة ولكن لا يمكن بأي حال أن تصل إلى خوارق الأنبياء، فإن خوارق السحرة والمشعوذين ومدعي النبوة مبناها على الفسق والكذب والظلم والشرك والكفر والفواحش ولذا كانت خوارقهم يمكن إبطالها ومعارضتها بخلاف ما اختص الله به الأنبياء فإن خوارقهم لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن إبطالها لا من جنسهم ولا من غير جنسهم فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً[٢].

*** (وأنهم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى وأنه لا يستقر في خبرهم إلا الحق والصواب).**

**الشرح:** اشتمل كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أمرين يجب الإيمان بهما في حق أنبياء الله ورسله:

**الأول:** أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى وهذا بإجماع العلماء.

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فرسله صادقون فيما يقولون»

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٧٢.

(٢) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١.

فكل ما يخبرون به عن الله وعن غيره من مخلوقاته فهم صادقون فيه لا يكذبون أبداً. ولهذا أجمع العلماء على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكذب[(١)]

**الثاني**: أن الرسل لا يستقر في خبرهم إلا الحق والصواب وذلك لأنه من وحي الله ﷻ لهم فمن طعن في خبرهم فقد طعن في الوحي قال الله تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

وقد ذكرنا طرفاً من كلام شيخ الإسلام عند كلام المؤلف رحمه الله «وأن الله أيدهم بالبراهين..» إلخ فليراجع.

*** (وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم وأن هذه الأمور ثابتة لنبينا محمد ﷺ على أكمل الوجوه).**

**الشرح**: قوله رحمه الله: «وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم» هذا أيضاً أصل من أصول الإيمان بأنبياء الله ورسله فكما أنه يجب الإيمان بهم يجب الإيمان بما آتاهم الله وكذلك محبتهم وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده فأخرجوا الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإخلاص.

وقوله رحمه الله: «وأن هذه الأمور ثابتة لنبينا محمد ﷺ على أكمل وجه» أي: المحبة والتعظيم والتوقير والثناء وغيرها من الأمور الجميلة ثابتة في حق النبي ﷺ وذلك لأنه خاتم الأنبياء ورسول رب العالمين للناس كافة ولذا استحق أن يكون خليل الرحمٰن قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨، ٩].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآيات: «يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾؛ أي: على الخلق ﴿وَمُبَشِّرًا﴾؛ أي:

(١) شرح الواسطية ١/١٣٦.

للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾؛ أي: للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الأحزاب: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد وتعظموه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام». انتهى المراد من تفسيره رحمه الله[1].

*** (وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً والإيمان بذلك والتزام طاعته في كل شيء بتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نهيه).**

قوله رحمه الله: «وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً والإيمان بذلك» أما الإيمان بما جاء به النبي ﷺ فلا خلاف في وجوب الإيمان به أما معرفة جميع ما جاء به الرسول فهو يختلف باختلاف الأشخاص منهم من يكون في حقه واجب كالعلماء ومنهم من لا يكون في حقه واجب كمن دونهم ولذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ويجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً مجملاً ولا ريب أن معرفة ما جاء به من التفصيل فرض كفاية فإذا دخل في تبيلغ ما بعث الله به الرسول ودخل في تدبر القرآن وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم وأما ما وجب على أعيانهم فهو يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم وما أمر به أعيانهم ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك»[2].

وقوله رحمه الله: «والتزام طاعته...» إلخ هذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله فلا تتم هذه الشهادة إلا بذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٨٤.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٥١.

*** (ومن ذلك أنه خاتم النبيين قد نسخت شريعته جميع الشرائع وأن نبوته وشريعته باقية إلى قيام الساعة فلا نبي بعده ولا شريعة غير شريعته في أصول الدين وفروعه).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ذلك أنه خاتم النبيين» كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقوله ﷺ: «... **وأنا خاتم النبيين**»[١]. وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد نسخت شريعته جميع الشرائع» كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: «قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذي هو القرآن العظيم أفضل الكتب وأجلها ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إنزالاً بالحق ومشتملاً على الحق في أخباره ونواهيه وأوامره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأنه شهد لها ووافقها وطابقت أخباره أخبارها وشرائعه الكبار شرائعها وأخبرت به فصار وجوده مصادقاً لخبرها ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلٰهية والأخلاق النفسية»[٢].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأن نبوته وشريعته باقية إلى قيام الساعة فلا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته في أصول الدين وفروعه».

هذا حق لا شك فيه فإن مقتضى كونه خاتم النبيين يستلزم أنه لا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكما أن محمداً ﷺ عام الرسالة إلى كل مكلف فرسالته عامة في كل شيء من الدين أصوله وفروعه دقيقه وجليله فكما لا يخرج أحد عن رسالته فكذلك لا يخرج حكم تحتاج إليه الأمة عنها وعن بيانه لها»[٣].

---

(١) مختصر صحيح البخاري للزبيدي (١٤٠٩).

(٢) تفسير الكريم المنان لابن سعدي.

(٣) نقلاً من شرح الشيخ عبد العزيز السلمان للواسطية.

*** (ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب، والإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها فلا يتم الإيمان به إلا بذلك).**

**الشرح:** ثم شرع المؤلف رحمه الله في بيان أصل من أصول الإيمان الستة وهو الإيمان بالكتب فقال رحمه الله: «ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب» ووجه دخول الإيمان بالكتب في الإيمان بالرسل أنه متى آمن العبد بالرسل فإن الإيمان بهم يقتضي الإيمان بما جاءوا به من الكتب التي أنزلها الله عليهم ومعنى الإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأنها كلها من عند الله عز وجل أنزلها على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء على الوجه الذي أراد ومن الإيمان بها أيضاً الإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها.

وقوله رحمه الله: «فالإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به...» إلخ أما الإيمان بالكتاب فلم يختلف فيه أحد أما السنة فقد خالف في الإيمان بها من انحرف عن الطريق المستقيم طريق الذين أنعم الله عليهم فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في بيان أمر وجوب الإيمان بها ولذا قال حسان بن عطية: كان جبريل ينزل بالقرآن والسنة على النبي ﷺ ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

*** (وكل من كان أعظم علماً بذلك وتصديقاً واعترافاً وعملاً كان أكمل إيماناً).**

**الشرح:** قوله رحمه الله: «وكل من كان أعظم علماً بذلك»؛ أي: بالكتاب والسنة «وتصديقاً»؛ أي: التصديق المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن «واعترافاً»؛ أي: الاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به

«وعملاً»؛ أي: عمل القلب واللسان والجوارح «كان أكمل إيماناً» وذلك لأنه استكمل كل شيء فلم يبق إلا وصفه بذلك؛ أي: أكمل الناس إيماناً.

*** (والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هذا الأصل العظيم).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هذا الأصل العظيم» أي: ويدخل في الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم الإيمان بالملائكة لأنهم أخبروا بوجودهم ودعوا الناس للإيمان بهم فهم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام والإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة فمن كفر بهم أو كفر بواحد منهم فقد كفر بالله ورسله قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ويدخل أيضاً في أصل الإيمان بالرسل الإيمان بالقدر قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ وقال ﷺ في بيان أركان الإيمان: «... **وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**»(١) والقدر هو تقدير الله ﷻ للأشياء فقد كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما قال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»(٢).

*** (ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حق لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه فالأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسُّنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها وغير النافع من المذكورات ليس فيها ما ينبغي وجودها وإن كان الدليل الشرعي ينهى ويذم الأمور الضارة منها).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حق...» إلخ. هذا أيضاً من مقتضيات الإيمان بنبوة محمد ﷺ فلا تتم شهادة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

العبد للنبي ﷺ بالنبوة ولا الرسالة إلا بما ذكره المؤلف رحمه الله وهي:

١ ـ «أن يعلم أن ما جاء به حق» كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ ـ أنه «لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه»؛ أي: أنه لا تعارض ولله الحمد بين نصوص الكتاب ونصوص السُّنة فالعقل السليم والحس السليم لا يخالفان نصوص الكتاب والسُّنة ولذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ما عُلِم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط»[1].

٣ ـ «أن الأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها..» إلخ. وهذا صحيح فكل ما فيه نفع للأفراد والمجتمعات قد قررته الشريعة وحثت عليه فقد أمر الله بالعدل مع كل أحد وبالإحسان والرحمة لكل أحد ونهى عن الفحشاء والبغي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأمر بالوفاء بالعهود والمحافظة عليها وحذر من نقضها بهذه الأمور المذكورة وغيرها والعقل والحس جاءا بذلك والناس يثنون على من قام بها فقد كانت هذه الأمور وغيرها قبل الإسلام يعظمها أهل الجاهلية ويثنون على من قام بها وكذلك الأمور المنهي عنها من قبل العقل والحس تجدهم يذمون من قام بها أو ارتكبها فجاءت الشريعة تبين ذلك بالدليل الشرعي فاتفقا جميعاً.

ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ بل وسائر الرسل.



(١) درء تعارض العقل والنقل، مجموع مؤلفات ابن سعدي ٢/٤٧.

# الأصل الثالث
# الإيمان باليوم الآخر

*** (فكل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر كأحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة والميزان والصحف المأخوذة باليمين أو الشمال والصراط وأحوال الجنة والنار وأحوال أهلها وأنواع ما أعد الله فيها لأهلها إجمالاً وتفصيلاً فكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ بل وسائر الرسل الأصل الثالث. . الإيمان باليوم الآخر».

وجه دخول الإيمان باليوم الآخر في الإيمان بالرسل لأن الرسل أخبروا به ودعوا الناس للإيمان به وبأنهم مجزيون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولذلك بين الرب سبحانه أن الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان فمن كفر باليوم الآخر فقد كفر بالله سبحانه قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سبأ: ٣].

ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان صفة الإيمان بهذا الأصل العظيم.

فقال: «فكل ما جاء به من الكتاب والسُّنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر».

وذلك لأنه بانقطاع العبد من الدنيا ورحيله إلى دار الآخرة يكون قد

دخل في المرحلة الأولى من مراحل العرض على الله تعالى فمن مات فقد قامت قيامته وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»** قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه»**(١).

وقوله رحمه الله: «كأحوال البرزخ» البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣].

أي: حاجزاً وفي الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قال مجاهد رحمه الله: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي: مات فلان قال: ليس هو في دار الدنيا ولا في الآخرة(٢).

وقوله رحمه الله: «وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة» أما الحساب والثواب والعقاب فهذا أصل اشتركت فيه الأنبياء جميعاً وأتباعهم الصادقون فما من نبي إلا بشر أمته بالجنة أو بالنار وأن هناك حساباً وعقاباً وثواباً كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨، ٩].

أما الشفاعة فقد اختلف فيها الناس وانقسموا إلى ثلاث طوائف فمنهم من أنكرها كالخوارج والمعتزلة فنفوا شفاعة النبي ﷺ وقسم أثبتوها حتى للأصنام وهم المشركون كما ذكر ذلك عنهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقسم توسطوا وهم أهل السنة والجماعة فأثبتوها بشرطيها وهما:

١ ـ إذن الرب للشافع أن يشفع.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨١) وقال: حديث غريب، مشكاة المصابيح ١/٤٨، وجامع الأصول ١١/١٦٤ وحسن إسناده الألباني في المشكاة وصحيح الجامع الصغير ٢/٨٥.

(٢) التذكرة للقرطبي ص١٠٠.

٢ ـ رضاه عن المشفوع له.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والميزان والصحف المأخوذة باليمين..» إلخ هذا أيضاً داخل في الإيمان باليوم الآخر. قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سُئل عن حد الإيمان باليوم الآخر:

كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه داخل في الإيمان باليوم الآخر كأحوال القبر والبرزخ ونعيمه وعذابه وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والصحف والميزان والشفاعة[١] وأحوال الجنة والنار وصفاتها وصفات أهلها وما أعده الله فيهما لأهلهما إجمالاً وتفصيلاً كل ذلك من الإيمان باليوم الآخر.



(١) مجموع مؤلفات ابن سعدي ٣/٦٨.

# الأصل الرابع
# مسألة الإيمان

*** (فأهل السُّنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسُّنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الإيمان).**

**الشرح**: شرع المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان الأصل الرابع من أصول الاعتقاد وهو «مسألة الإيمان» وخصها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالذكر وجعلها أصلاً من أصول الاعتقاد لأن هناك فِرقاً قد ضلت في هذا الأصل العظيم وخالفت الطريق المستقيم ولذا نجد علماء الأمة يخصون هذه المسألة بالذكر في كتبهم فهذا شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ نجده كثيراً ما يتكلم عن هذه المسألة فانظر إلى المجلد السابع من مجموع الفتاوى له تجده خُصِّص لهذه المسألة فقط.

وقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأهل السُّنة يعتقدون بما جاء به الكتاب والسُّنة من أن الإيمان هو تصديق القلب...» إلخ هنا بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتقاد أهل السُّنة في الإيمان.

فقوله: «الإيمان هو تصديق القلب»؛ أي: اعترافه وقوله كما قال شيخ الإسلام في الواسطية: «الإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح».

وقوله: «المتضمن لأعمال الجوارح» لأن الجوارح شاهدة على ما في القلب من إيمان فمتى امتلأ القلب بالإيمان خضعت الجوارح وسكنت لخالقها فركعت وسجدت وقامت وقعدت فيكون عملها إيماناً شرعاً لأن الحامل لهذه الأعمال هو الإيمان.

وقوله: «فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها» عمل القلوب تحركها وإرادتها مثل الإخلاص في العمل فهذا عمل القلب وكذا التوكل والرجاء والخوف والصبر والخشية والإنابة وغيرها من أعمال القلوب.

وقوله: «وأعمال الجوارح وأقوال اللسان أنها كلها من الإيمان» هنا يريد أن يرد على الذين قالوا: بأن الإيمان قول فقط ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان كالمرجئة وغيرهم.

*** (وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان». مراده رَحِمَهُ اللهُ أن من قام بما أمر الشارع به فجاء بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة من الأعمال الظاهرة وكذلك جاء بالأعمال الباطنة كالإخلاص والخشية والإنابة والتوكل والصبر وغير ذلك من الأعمال الباطنة فإنه قد كمل إيمانه بذلك فالأعمال الظاهرة والباطنة تصدق الإيمان.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه».

وذلك لأن الإيمان كما هو عند أهل السنة يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فكلما كان العبد لأوامر الله أتقى كان الإيمان في قلبه أقوى ولذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عند تعليقه على حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[(١)].

قال رَحِمَهُ اللهُ: فبيَّن ﷺ بهذه الوصية الجامعة أن العبد إذا اعترف بالإيمان ظاهراً وباطناً ثم استقام عليه قولاً وعملاً فعلاً وتركاً فقد كمل أمره واستقام على الصراط المستقيم ورجى أن يدخل مع من قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/٩٩ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.

*** (وهذه الأمور بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلٰه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الأمور بضع وسبعون شعبة...» إلخ.

مراده بالأمور هنا أمور الإيمان الظاهرة والباطنة التي قد بيناها سابقاً ودليله رَحِمَهُ اللهُ قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

فهذا الحديث شامل لأعمال القلب واللسان والجوارح التي هي من الإيمان فقول اللسان ظاهر في قول لا إلٰه إلا الله وعمل الجوارح في إماطة الأذى عن الطريق وعمل القلب هو الحياء الذي هو انكسار قلبي يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

*** (ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات مقربون وأصحاب يمين وظالمون لأنفسهم بحسب مقاماتهم من الدين والإيمان).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات...» إلخ دليله رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢].

فهذه الآية بينت مراتب الناس في الإيمان.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا كان المؤمنون ثلاث مراتب: مرتبة السابقين، ومرتبة المقتصدين، ومرتبة الظالمين، وكل واحدة من هذه المراتب أيضاً أهلها متفاوتون تفاوتاً كثيراً، والعبد المؤمن ـ في نفسه ـ له أحوال وأوقات تكون أعماله كثيرة قوية وأحياناً بالعكس. وكل هذا من زيادة الإيمان ونقصه وقوته وضعفه»[2].

---

(١) رواه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ، ورواه البخاري (٩) بلفظ الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيـمان.

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/ ١٠٥.

وقال أيضاً: «ولهذا كانوا ثلاث درجات: سابقون مقربون وهم الذين قاموا بالواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات»[١]

وفضول المباحات، ومقتصدون وهم الذين قاموا بالواجبات وتركوا المحرمات وظالمون لأنفسهم وهم الذين تركوا بعض الواجبات.

*** (وأنه يزيد وينقص فمن فعل محرماً أو ترك واجباً نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلى الله).**

قوله ﷺ: «وأنه يزيد وينقص...» إلخ هذا مجمل اعتقاد أهل السنة في زيادة ونقصان الإيمان وقد خالفهم في هذا طائفتان:

**الأولى**: المرجئة الذين يقولون أن الإيمان هو الإقرار بالقلب وما عدا ذلك فليس من الإيمان ولهذا كله الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص فإيمان العاصي كإيمان جبريل ولذا يقولون: «لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة» فالزاني والسارق وشارب الخمر والعصاة عموماً عندهم كاملوا الإيمان.

**الثانية**: الخوارج والمعتزلة: قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان بل هي شرط في بقائه فمن فعل معصية من كبائر الذنوب فقد خرج من الإيمان غير أن الخوارج تقول عنه كافر والمعتزلة يقولون: فاسق وكلاهما يقولون بأنه مخلد في النار. وسيذكر المؤلف مزيداً من التفصيل في هذه المسألة.

*** (ويرتبون على هذا الأصل أن الناس ثلاثة أقسام منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً ومنهم من تركها كلها فهذا كافر بالله تعالى ومنهم من فيه إيمان وكفر وإيمان ونفاق أو خير وشر ففيه من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيعه من الإيمان).**

قوله ﷺ: «ويرتبون على هذا الأصل العظيم»؛ أي: الأصل الرابع والمراد به مسألة الإيمان «أن الناس ثلاثة أقسام منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً».

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/ ٩٣ مجموع مؤلفات ابن سعدي ﷺ.

والمراد بحقوق الإيمان هنا أصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

قال: فوصف الله المؤمنين بهذه الصفات المتضمنة للقيام بأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه فإنهم وصفهم بالإيمان به إيماناً ظهرت آثاره في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة مع ثبوت الإيمان في قلوبهم يزداد إيمانهم كلما تليت عليهم آيات الله ويزداد خوفهم ووجلهم كلما ذكر الله وهم في قلوبهم وسرهم متوكلون على الله ومعتمدون في أمورهم كلها عليه ومفوضون أمورهم إليه وهم مع ذلك يقيمون الصلاة فرضها ونفلها يقيمونها ظاهراً وباطناً ويؤتون الزكاة وينفقون النفقات الواجبة والمستحبة ومن كان على هذا فلم يبقِ من الخير مطلباً ولا من الشر مهرباً ولهذا قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ الذين يستحقون هذا الوصف على الحقيقة ويحققون القيام به ظاهراً وباطناً[(١)]. انتهى.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم من تركها كلها فهو كافر بالله تعالى» أي: ومن أقسام الناس هذا القسم الثاني الذي ترك الإيمان جملة وتفصيلاً فلم يؤمن بأصول الدين كالإيمان بالله وملائكته المرسلة واليوم الآخر وغيرها وكذا فروعه كالصلاة والزكاة والحج والصوم وغير ذلك من أمور الإيمان الظاهرة والباطنة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم من فيه إيمان وكفر وإيمان ونفاق وخير وشر...» إلخ هذا هو القسم الثالث من أقسام الناس وهو الذي جمع بين خصال الإيمان وخصال الكفر أو خصال الإيمان وخصال النفاق والمراد بالكفر والنفاق هنا الكفر العملي والنفاق العملي إذ لو جمع في قلبه الكفر الاعتقادي والنفاق الاعتقادي لم يكن في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/٩٢ من مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فصل: وها هنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع فالخوارج والمعتزلة والقدرية ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة[(١)].

*** (ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر تنقص إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ولا يخلد في نار جهنم).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر...» إلخ.

هذا فيه الرد على الخوارج الذين يكفِّرون أهل القبلة من أصحاب الكبائر التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفه لأهل السنة: «وهم مع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي» كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. ولا يسلبون الفاسق أعلى اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم[(٢)].

---

(١) كتاب الصلاة لابن القيم ص٦٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/١٥١ ـ ١٥٢.

*** (ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة، بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج» كما ذكرناه سابقاً «أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة» فإن المعتزلة يقولون هو فاسق وليس بكافر مع موافقتهم الخوارج في تخليده في النار فوافقوا أهل السنة مقالاً وخالفوهم مآلاً ولذا قال: «بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته» هذا هو قول أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة فهم وسط بين الجهمية والمرجئة وبين المعتزلة والخوارج فأهل السُّنة يقولون: إن مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان ولذا يسمى عند أهل السنة مؤمناً ناقص الإيمان وبعبارة أخرى يسمى مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته أو يقال: مؤمن عاص آثم وهو معرض نفسه للعقوبة وهو تحت مشيئة الله إذا مات من غير توبة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ولكنه لا يخلد في النار «كما تقول المعتزلة والخوارج» بل يخرج منها بعد تطهيره من الذنوب والمعاصي إما بشفاعة أو بفضل الله ورحمته.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه» الفرق بين المعنيين أن مطلق الإيمان المراد به أن معه أصل الإيمان لكن كماله مفقود ففاعل الكبيرة مثلاً يقال: معه مطلق الإيمان؛ أي: الإيمان موجود معه ولكنه ناقص أما «الإيمان المطلق» فهو الإيمان الكامل.

وقد مر بنا قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** (وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنة).**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنة».

المراد بالأصول هنا ذكرها في الأصل الرابع في مسألة الإيمان فمن قام بها على الوجه الأكمل فقد حصل عنده الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنَّة بخلاف من ضل كالجهمية والمرجئة والمعتزلة والخوارج وغيرهم ممن ضل في مسألة الإيمان.

*** (ويترتب على هذا الأصل أن الإسلام يجبُّ ما قبله وأن التوبة تجبُّ ما قبلها وأن من ارتد ومات على ذلك فقد حبط عمله، ومن تاب تاب الله عليه).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويترتب على هذا الأصل العظيم أن الإسلام يجب ما قبله».

لقوله ﷺ في حديث عمرو بن العاص قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله**»[1].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن التوبة تجب ما قبلها» لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن من ارتد ومات على ذلك حبط عمله» لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقوله: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد: ٣٤].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن تاب تاب الله عليه» لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٩].

*** (ويرتبون أيضاً على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان فيصح أن يقول أنا مؤمنٌ إن شاء الله لأنه يرجو من الله تعالى تكميل إيمانه فيستثني لذلك ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات فيستثني من غير شك منه بحصول أصل الإيمان).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون أيضاً على هذا الأصل العظيم الاستثناء في الإيمان..» إلخ.

---

(١) رواه مسلم (١/٧٨).

هذه المسألة العظيمة ساقها المؤلف لبيان قول أهل السنة في مسألة الاستثناء في الإيمان أي قول: «أنا مؤمن إن شاء الله».

وهذه المسألة الناس فيها على ثلاثة أقوال:

منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا هو أصح الأقوال في هذه المسألة.

فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه. فمتى استثنى الإنسان عندهم في إيمانه فقال: أنا مؤمن إن شاء الله، فهو شاك فيه.

أما الذين يوجبونه فهم الكلابية أصحاب ابن كلاب ووافقهم عليه كثير من أتباع الأئمة لكن هذا ليس قول أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم.

أما الذين يجيزون ذلك فهم أسعد الناس وذلك لموافقة قولهم نصوص الكتاب والسنة فخير الأمور أوسطها فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء وهذا مما لا خلاف فيه.

وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]. وغيرها من الآيات فالاستثناء حينئذ جائز وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله لا شكاً في إيمانه وهذا القول هو أقوى الأقوال[1].

*** (ويرتبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض أصله ومقداره تابع للإيمان وجوداً وعدماً وتكميلاً ونقصاً ثم يتبع ذلك الولاية والعداوة، ولهذا من الإيمان الحب في الله والبغض لله والولاية لله والعداوة لله).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض. .» إلخ.

---

(١) انظر الكلام في هذه المسألة في كتاب: الإيمان لشيخ الإسلام ٤/ ٤٢٩، مجموع الفتاوى شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٩٤.

هذه مسألة عظيمة جداً فهي أساس من أسس هذه العقيدة غفل عنها الكثير من الناس حتى أصبح عندهم اليهود والنصارى والسيخ وعُباد البقر والبوذيين وغيرهم من الوثنيين أفضل من المسلمين بل كم نسمع عن فلان وفلان من الناس يتحبب إلى فلان الكافر ويتودد إليه ويدنيه منه محبة لما عليه من الكفر بل إذا قام هذا الكافر وأعلن إسلامه ترى هذا الشخص يهينه ويبخسه حقه وغير ذلك من المعاملة السيئة ونسي هذا أن الرضى بالكفر كفر نعوذ بالله من الذل والخذلان.

وما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هو بيان لملة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

فأوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله والناس في هذه المسألة على ثلاث درجات:

**الأولى:** ما يحب من كل جانب وهم المؤمنون الموجودون القائمون لله بحقه المجتنبون ما حرم الله.

**الثانية:** من يحب من جانب ويكره ويبغض من جانب وهم العصاة من المؤمنين.

**الثالثة:** من يكره ويعادي من كل جانب وهم الكفار جميعهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان. ثم ذكر جملة من الآيات التي تدل على قوله ثم قال: ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطى من الموالاة بحسب إيمانه ومن البغض

بحسب فجوره[١]. انتهى بتصرف.

*** (ويترتب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويترتب على ذلك أيضاً محبة اجتماع المؤمنين ويحث على التآلف والتحابب وعدم التقاطع).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويترتب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه..» إلخ.

هذا أيضاً داخل في الإيمان فلا يتم إيمان العبد إلا بما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال أيضاً حينما سُئل عن حقوق المسلمين عليك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجواب «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالواجب أن تتخذهم إخواناً تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتسعى بحسب مقدورك في مصالحهم وإصلاح ذات بينهم وتأليف قلوبهم واجتماعهم على الحق، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره وتقوم بحق من له حق خاص كالوالدين والأقارب والجيران والأصحاب والمعلمين»[٢].

وقال أيضاً: وفي الصحيحين أيضاً عن أنس مرفوعاً: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٣].

قال: وذلك يقتضي أن تقوم بحقوق إخوانك المسلمين الخاصة والعامة فإنه من الإيمان ومن لم يقم بذلك ويحب لهم ما يحب لنفسه فإنه لم يؤمن الإيمان الواجب بل نقص إيمانه بقدر ما نقص من الحقوق الواجبة عليه[٤].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/٢٢٧ ـ ٢٢٩.
(٢) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/٦٩ من مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) البخاري (١٣)، ومسلم (٥٦).
(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/٩٧ من مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** (ويبرأ أهل السُّنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض ويرون أن هذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا تصل إلى كفر أو بدعة موجبة للتفرق).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويبرأ أهل السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض...» إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذه مسألة عظيمة بل هي كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهم قواعد الإيمان إذ بفهمها والعمل بمضمونها تحفظ بيضة هذا الدين وكيان الأمة وما حدث للأمة من ضعف ووهن إلا بتفريطهم في فهم هذه القاعدة.

ولو نظرنا للقرآن والسُّنة لوجدنا فيها الكثير مما يدعو إلى عدم الفرقة ويدعو إلى التآلف.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»[1].

فبين ﷺ أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للطحاوية عند قول الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

قال: فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول إما عادلون وإما ظالمون فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره.

---

(١) أخرجه أحمد ١٠٢/٤، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي ٢٤١/٢ وهو حديث حسن.

والظالم الذي يعتدي على غيره وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضاً.

ثم ذكر كلاماً في مسائل الاختلاف والافتراق خلاصته:

أن الاختلاف والافتراق في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

## أولاً: اختلاف التنوع وهو على وجوه:

منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين مشروعاً كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة ﭫ.

ومثله اختلاف الأنواع كما في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح ومحل سجود السهو ونحو ذلك مما قد شرع جميعه وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر لكنَّ العبارتين مختلفتان كما يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصوغ الأدلة والتعبير عن المسميات ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها ونحو ذلك.

وهذا النوع من الاختلاف: الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغي كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار قطع قوم وترك آخرون، وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

## ثانياً: اختلاف التضاد:

«وهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور

الذين يقولون: إن المصيب واحد والخطب في هذا أشد لأن القولين يتنافيان. لكن تجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقاً ما فيروا الحق مع الباطل حتى يبقى مبطلاً في البعض كما كان الأول مبطلاً في الأصل وهذا النوع ما حمد فيه إحدى الطائفتين وذمت الأخرى»[(١)].

*** (ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم وعملهم على الفضل والسوابق والمناقب وما فضلوا فيه سائر الأمة).**

**الشرح:** قوله ﷫: «ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم. .» إلخ.

ساق المؤلف ﷫ هذا الكلام لبيان ما يعتقده أهل السُّنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وكأنه ﷫ يريد أن يرد على الروافض والخوارج، فالروافض يقولون بتكفير أصحاب النبي ﷺ وأنهم ارتدوا بعد موت النبي ﷺ حتى أبو بكر وعمر لم يسلما من تكفيرهم قبحهم الله ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت ونفراً قليلاً ممن قالوا إنهم من أولياء آل البيت حتى إن غلاتهم كفروا علي بن أبي طالب وذلك لأن علياً أقر الظلم والباطل حينما بايع أبا بكر وعمر وكان الواجب عليه إنكار بيعتهما.

أما الخوارج: فهم عكس الروافض فقد كفَّروا علياً ومعاوية بن أبي سفيان وكل من لم يكن على طريقتهم واستحلوا دماءهم.

أما أهل السُّنة والجماعة فهم وسط بين الطائفتين.

قال شيخ الإسلام ﷫: «ومن أصول أهل السُّنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أن**

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/ ٧٧٥ ـ ٧٨٦.

**أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[١]. ويقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاث مائة وبضعة عشر: **«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[٢]. وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ[٣]. بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربع مائة.. إلى آخر ما قاله رحمه الله[٤].

*** (ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم وأنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم من كل شر).**

**الشرح**: قوله رحمه الله: «ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم..» إلخ أي: من الدين محبة الصحابة ونشر فضائلهم لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ ومحبة رسول الله من محبة الله أما نشر فضائلهم فتتمثل في كونهم من أصدق الناس وأنصحهم وأحسنهم أخلاقاً وأدباً بل هذه الصفات وغيرها من الصفات الحميدة لا توجد عند غيرهم.

قال الشيخ رحمه الله في سؤال وجواب في أهم المهمات حينما سُئل عن الواجب نحو الصحابة فقال:

من تمام الإيمان برسول الله ﷺ ومحبته محبة أصحابه بحسب مراتبهم في الفضل والسبق والاعتراف بفضائلهم التي فاقوا فيها جميع الأمة وأن تدين الله بحبهم ونشر فضائلهم وتمسك عما شجر بينهم، وتعتقد أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم عن كل شر وأنهم جميعاً عدول مرضيون[٥].

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٥٤١).
(٢) البخاري (٣٠٠٧)، مسلم (٢٤٩٤).
(٣) رواه مسلم (٢٤٩٦)، أبو داود (٤٦٥٣)، الترمذي (٣٨٥٩).
(٤) انظر: العقيدة الواسطية وشرحها للشيخ ابن عثيمين ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٧٣.
(٥) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/ ٧٠، مجموع مؤلفات ابن سعدي رحمه الله.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويمسكون عما شجر بين الصحابة..» إلخ أي: أن أهل السُّنة والجماعة طريقتهم الإمساك عما شجر بين الصحابة لما في ذلك من توليد العداوة والبغضاء والحقد على أحد الطرفين وذلك من أعظم الذنوب والواجب حب الجميع والترضي عنهم والترحم عليهم والاعتراف بفضائلهم.

*** (ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها ويدفع عنها عادية المعتدين).**

**الشرح**: وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام...» إلخ.

قال في سؤال وجواب في أهم المهمات:

نعتقد أن نصب الإمام فرض كفاية، فإن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين وإقامة الحدود على الجناة، ولا تتم إمامة إلا بطاعة في المعروف في غير معصية، والجهاد ماض مع البر والفاجر، ويعانون على الخير وينصحون عن الشر(١).

*** (ولا تتم إمامته إلا بطاعة بغير معصية الله تعالى).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تتم إمامته إلا بطاعة بغير معصية الله..» إلخ هذا مما جاءت به نصوص الكتاب والسُنة فأهل السنة والجماعة يرون أن طاعة ولي الأمر واجبة وإن كان فاسقاً بشرط أن لا يخرجه فسقه إلى الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان فهذا لا طاعة له، بل يجب على الأمة إزالته عن تولي أمر المسلمين، ودليل أهل السنة على وجوب طاعة الإمام كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

والإمامة هنا ليست قاصرة على الملوك والرؤساء بل هي شاملة قادتهم

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/ ٧٠.
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) و(٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

في تنظيم شؤون الدنيا وفي إقامة معالم الدين ونشره بين الناس فيدخل في ذلك الإمام الأعظم والقضاة والأمراء وجميع من لهم ولاية عامة أو خاصة.

*** (ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد وإلا باللسان وإلا فبالقلب على حسب مراتبه الشرعية وطرقه المرعية).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..» إلخ ذلك لأن الله وصف هذه الأمة بذلك قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يتم»؛ أي: لا يكمل إيمان العبد إلا بذلك.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باليد وإلا باللسان وإلا بالقلب» هذه مراتب تغيير المنكر الثلاثة دليلها قوله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[1].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «على حسب مراتبه الشرعية»؛ أي: التي ذكرناها آنفاً وهي مرتبة التغيير باليد ومرتبة التغيير باللسان ومرتبة التغيير بالقلب.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وطرقه المرعية» أي: الطرق التي رعاها الشارع ووضعت كضوابط للأمر والنهي فمن هذه الضوابط:

١ ـ أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالماً بما يأمر به.

٢ ـ أن يكون قادراً على ذلك فإن علم يقيناً أنه قد يلحقه أذى في ماله أو نفسه أو أهله فلا يجب عليه لأن جميع الواجبات مشروطة بالقدرة والاستطاعة.

---

(١) رواه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢).

٣ ـ أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أعظم من السكوت وبهذا يكون إنكار المنكر أربع درجات.

**الأولى:** أن يزول ويخلفه ضده فهذا مشروع بل هو واجب شرعاً.

**الثانية:** أن يقل المنكر وإن لم يزل من جملته فهذا أيضاً واجب شرعاً.

**الثالثة:** أن يخلفه ما هو مثله من منكر فهذا محل نظر واجتهاد.

**الرابعة:** أن يخلفه ما هو شر منه فهذا محرّم.

*** (وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين ومن تمام هذا الأصل).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية..» إلخ أي: التي ذكرها المؤلف والتي لم يذكرها وجعلها أهل العلم أصولاً شرعية وقوله: «على الوجه الشرعي» أي: الذي جاءت به نصوص الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين وغيره «من تمام الإيمان» أي: لا يتم إيمان العبد إلا بالقيام بكل الأصول الشرعية.

فمن قام بهذه الأصول الشرعية الصحيحة المحكمة فهو المؤمن حقاً فإن فاقد الإيمان بها لا خير فيه لأنه إذا عدم الإيمان فإما أن يكون الإنسان أحواله كلها شر وضرر على نفسه أو على مجتمعه الذي يعيش فيه أو يكون الإنسان فيه بعض الخير الذي قد انغمر بالشر وغلب شره خيره. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «والمصالح إذا انغمرت واضمحلت في المفاسد صارت شراً لأن الخير الذي معه يقابله شر نظيره فيتساقطان ويبقى الشر الذي لا مقابل له من الخير يعمل به»[1].



(١) توضيح شجرة الإيمان ٣/ ١٣٩.

# الأصل الخامس
# طريقهم في العلم والعمل

*** (وذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلزمون أن لا طريق إلى الله وإلى كرامته إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، فالعلم النافع هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مجتهدون في معرفة معانيها والتفقه فيها أصولاً وفروعاً).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل».

بعد أن انتهى المؤلف رَحِمَهُ اللهُ من بيان طريقة أهل السنة والجماعة العقدية والعملية بدأ في بيان طريقتهم في العلم والعمل فقال رَحِمَهُ اللهُ: «ذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلزمون أن لا طريق إلى الله» أي: لا طريق موصل إلى الله تعالى «وإلى كرامته» أي: ما يكرم به الرب العبد من كرامات حسية أو معنوية فالحسية ما يجريها الله تعالى على يديه كما جرى للأولياء من هذه الأمة والتكريم المعنوي هو ما يحصل لنفس الإنسان من الراحة والأنس بالله ومحبته ومحبة ما شرعه لعباده فهذا أعظم كرامة يكرم بها الله العبد بل وأعظم من ذلك تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة العلمية والعملية القولية والفعلية والمالية ولا يتم ذلك إلا بأمرين ذكرهما المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فقال: «إلا بالعلم النافع والعمل الصالح» أما العلم النافع فقد وضحه المؤلف بقوله: «هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ» إلى قوله: فهذا طريقهم في العلم.

«أما العمل الصالح» فقد بينه رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأسسها» فالعمل الصالح؛ أي: المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة فإذا خلا

هذا العمل من الصلاح خربت عقائد البشر وبخراب العقائد تخرب الدنيا ولذا قيده رَحِمَهُ اللَّهُ بـ «الصالح» أما الأعمال الفاسدة فهي في الحقيقة خراب للأفراد والمجتمعات وما أكثرها في هذا الزمان فما أكثر الذين يدعون إلى التحلل الديني والعقدي والأخلاقي ويظنون بذلك أنهم يحسنون صنعاً قال تعالى في وصفهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

وقوله: «مجتهدون في معرفة معانيها»؛ أي: معرفة معاني الكتاب والسنة وما تدل عليه هذه المعاني «والتفقه فيها» لأنها أصل من أصول التشريع الذي يستمد منه الفقه في الدين.

*** (ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام» أي: أهل السنة مسلكهم في الأدلة شامل لجميع الدلالات فإن كانت دلالة الكتاب والسنة على جميع المعنى فهي دلالة مطابقة وإن كانت على بعضه فدلالة تضمن وإن كانت على توابع الحكم من شروط وتتمات فدلالة التزام.

فخرجنا من قوله رَحِمَهُ اللَّهُ هذا شموله العمل بالسنة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله» أي: أن أهل السنة يبذلون ما في وسعهم وما أعطاهم الله تعالى من علم وإدراك وقوة سواء بالنظر إلى أقوال أهل العلم أو بالذهاب إليهم وسؤالهم عما أشكل عليهم في الكتاب والسنة.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان دلالة التضمن والالتزام والمطابقة:

والدلالة من الكتاب والسنة ثلاثة أقسام:

دلالة مطابقة إذا طبقنا اللفظ على جميع المعنى.

ودلالة تضمن إذا استدللنا باللفظ على بعض معناه.

ودلالة التزام إذا استدللنا بلفظ الكتاب والسنة ومعناهما على توابع ذلك ومتمماته وشروطه وما لا يتم ذلك المحكوم فيه أو المخبر عنه إلا به[١].

*** (ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة ومناسبات حكيمة وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي كما أن ما ضاده وناقضه هو علم باطل فهذا طريقهم في العلم).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة»؛ أي: المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ «هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة» ذلك لأن القياس أحد الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية «ومناسبات حكيمة» أي: ما تناسب مع هذه العلوم النافعة من أحكام «وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي».

حد العلم ما قامت عليه الأدلة والبراهين والنافع من هذا العلم ما تعلق بالدين وكان من العلوم المعينة عليه فهذه الاختراعات الحادثة التي استخدمها الداعون إلى الله تعالى هي من العلوم النافعة بل هي من العلوم الشرعية فهي معينة على الدين وقوة المسلمين.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والعلم النافع هي العلوم الشرعية وما أعان عليها من العلوم العربية بأنواعها، ومن العلوم الشرعية تعلم الفنون المعينة على الدين وعلى قوة المسلمين وعلى الاستعداد للأعداء للمقاومة والمدافعة فإنها داخلة في الجهاد في سبيل الله»[٢].

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «كما أن ما ضاده وناقضه هو علم باطل» الضمير في ضاده يعود على العلم الشرعي فكل علم ناقض العلوم الشرعية وضادها كعلم الكلام والفلسفة والعلوم المخالفة للدين التي سماها أهلها رقياً وتقدماً وغيرها من العلوم التي تضر بالأفراد والمجتمعات كلها علوم باطلة وإن زخرفها أهلها

---

(١) مجموع مؤلفات ابن سعدي، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه ٤/ ١٠.

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (ابن سعدي ص١٠).

بالمسميات وروجوا لها بأنها من الثقافة العصرية ونحو ذلك كل هذه العلوم باطلة مضادة للعلوم الشرعية النافعة.

*** (وأما طريقهم في العمل فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأساسها).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما طريقهم في العمل فإنهم...» إلخ.

بعد أن ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ طريقة أهل السنة في العلم بدأ في بيان طريقتهم في العمل فإن منهجهم فيه هو التقرب إلى الله تعالى مع الإذعان والتصديق والاعتراف «بعقائد الإيمان» التي بينها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة فإن هذه العقائد هي أصل العبادات وأساسها وما عداها فرع على هذه الأصول.

*** (ثم يتقربون إلى الله بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه وحقوق عباده مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات تعبداً لله تعالى).**

**الشرح**: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم يتقربون إلى الله بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه» فالصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد في سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الفرائض التي هي حق خالص لله تعالى أما الفرائض المتعلقة بحقوق عباده فهي كحقوق الوالدين وكذا صلة الأرحام وحقوق الجار وزيارة المريض وتشميت العاطس وتشييع الجنائز وغيرها مما هو حق محض للعباد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات» كنافلة الصلاة والصوم والحج والعمرة والصدقة وغيرها من النوافل المشروعة بل من صفتهم أيضاً أنهم يتركون المحرمات التي أفاضت بها نصوص الكتاب والسنة وكذلك المنهيات.

وقوله: «تعبداً لله تعالى» أي: ليس عبادة بدون قصد ونية بل عبادة لله تعالى فالعبد إذا فعل المأمور وترك المحظور تعبداً لله أجر عليه فكأن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يحثنا على أن تكون أعمالنا كلها بنية لكي نؤجر على ذلك.

*** (ويعلمون أن الله لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم مسلوكاً فيه طريق النبي الكريم ويستعينون بالله في سلوك هذه الطرق النافعة التي هي العلم النافع والعمل الصالح الموصل إلى كل خير وفلاح وسعادة عاجلة وآجلة والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً).**

**الشرح:** قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويعلمون أن الله لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم».

بعد أن بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ الأصول الجامعة لمنهج أهل السنة والجماعة وبين سلوكهم في العلم والعمل بين أن هذا لا يقبل إلا بشرطين:

**الأول:** الإخلاص لله تعالى.

**الثاني:** اتباع النبي ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هاتان القاعدتان: وهي الإخلاص والمتابعة شرط لكل عبادة ظاهرة وباطنة فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، وكل عمل لا يكون على سُنة رسول الله فهو مردود فإذا اجتمع للعمل الإخلاص للمعبود وهو أن يراد بالعمل وجه الله وحده، والمتابعة للرسول وهو: أن يكون العمل قد أمر به فهو العمل المقبول»[1].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويستعينون بالله في سلوك هذه الطرق..» إلخ أي: أن أهل السنة والجماعة عند سلوكهم الطرق النافعة يعلمون أنه لا بد من الاستعانة بالله للحصول على العلم النافع والعمل الصالح ولذا يقولون دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ أي: نستعين بك على مصالحنا الدينية والدنيوية فأنت المعين على ذلك ولذا قال ﷺ لمعاذ لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

فالعبد محتاج إلى ربه في كل شيء في عبوديته له وفي شؤون حياته التي يعيشها هو دائماً في حاجة إلى ربه أن يعينه عليها.

---

(١) منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة ٤/ ١٧٢ مجموع مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على ما فيه الخير والفلاح لنا في الدنيا والآخرة إنه سبحانه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الموضوع الصفحة